وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

المذاهب الفقهية في بلاد الشام من خلال كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: **تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي**

إعداد الطالبين:

- بن مسعود يحي
- بوذينة بغداد

إشراف الأستاذ الدكتور :

رمضاني فوزي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ خالد شارف .....رئيسا

أ.د/ رمضاني فوزي .....مشرفا ومقررا

أ.د/ بن الحاج الميلود.....مناقشا

السنة الجامعية 2018-2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

المذاهب الفقهية في بلاد الشام من خلال كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: **تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي**

إعداد الطالبين:

- بن مسعود يحي
- بوذينة بغداد

إشراف الأستاذ الدكتور :

رمضاني فوزي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ خالد شارف .....رئيسا

أ.د/ رمضاني فوزي .....مشرفا ومقررا

أ.د/ بن الحاج الميلود.....مناقشا

السنة الجامعية 2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية وعلى آله وصحبة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل, و إلى كل من كان سببا في تعليمنا وتوجيهنا و مساعدتنا.

إلى الأستاذ الفاضل المشرف رمضاني فوزي .

الذي لم يدخر جهدا في إرشادنا وتوجيهنا أثناء عملنا في هذا البحث

وقبل أن نمضي نقدم أسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا راية العلم أقدس رسالة في الحياة.

وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل.. الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

الإهداء

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين :

نهدي ثمرة عملنا هذا إلى فضاء الحنان والعطاء الوالدين الكريمين حفظهما الله.....

إلى زوجاتنا وأبنائنا إلى كل العائلة الكريمة صغيرا وكبيرا.....

إلى كل الأصدقاء والزملاء.....

إلى الذين صنعوا هذا التاريخ بدمائهم وأقلامهم .....

إلى كل من يعرفنا.....

إلى وطننا الغالي الجزائر.....

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية وعلى آله وصحبة ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل، وإلى كل من كان سببا في تعليمنا وتوجيهنا ومساعدتنا.

إلى الأستاذ الفاضل المشرف رمضاني فوزي.

الذي لم يدخر جهدا في إرشادنا وتوجيهنا أثناء عملنا في هذا البحث

وقبل أن نمضي نقدم أسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا راية العلم أقدس رسالة في الحياة.

وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

الكلمة	الرمز
توفي	ت
الجزء	ج
طبعة	ط
ميلادي	م
هجري	هـ
دون مكان نشر	د.م
دون تاريخ نشر	د.ت
دون طبعة	د.ط
دون ناشر	د.ن
تحقيق	تح
دكتور	د

المقـــــدمة

عرفت الدولة الإسلامية طيلة تاريخها تنوعا مذهبيا وعقديا ، حيث انقسم المسلمون إلى فرق و مذاهب عديدة ، وأصبح كل واحد منها يسعى لبسط نفوذه ونشر أفكاره و آرائه سواء بقوة العلم أو بقوة السلطان أو بهما معا .

ولعل الدارس لتاريخ الدولة الإسلامية في بلاد الشام تستوقفه حدة المنافسة بين المذاهب الفقهية خاصة بعد الانتصار لهم من الشيعة من طرف الأيوبيين الذين قاموا بتشجيع الحركة العلمية ودعمهم للعلماء ، وسار على طريقهم المماليك من بعدهم وصارت بلاد الشام منارة للعلم وحاضنة للمذاهب السنية الأربعة ،فازدحمت بعلماء اصطبغوا بصبغة مذاهبهم وساهموا في خدمتها ، وقد تناولتهم العديد من المؤلفات، ويعد كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبن حجر العسقلاني واحد من أهمها وهو ما دفعنا للتعرف على المذاهب الفقهية السائدة في بلاد الشام وعلمائها في القرن8هـ/14م من خلال دراسة هذا الكتاب فجاء موضوع بحثنا :

المذاهب الفقهية في بلاد الشام من خلال كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبن حجر العسقلاني (ق8هـ/14م)

أردنا من خلاله إحصاء علماء المذاهب الفقهية في بلاد الشام والوقوف على دورهم وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية وكذا خدمة مذاهبهم واثر ذالك على المجتمع الشامي .

وسبسب اختيارنا لهذا الموضوع يرجع أولا لدوافع ذاتية تتمثل في رغبتنا المشتركة في التعرف على الحياة المذهبية والعلمية في بلاد الشام في القرن 8هـ/14م ووجدنا في كتاب الدرر لأبن حجر العسقلاني ضالتنا، وكذا لميولنا في البحث عن مواضيع العقيدة والفكر والمجتمع ، ثانيا دوافع عامة تتمثل في تزويد المكتبة الإسلامية التاريخية ببحث اجتماعي عله يضيف جديدا إلى ما كتب من قبل، إذ إن معظم كتب التاريخ لم تقم بالتركيز على هذا الجانب من الدراسة. يضاف محاولة تدعيم الجهود التي تهتم بالتاريخ الاجتماعي للأمة الإسلامية ، والإلمام بالمراحل التي واكبت تطور الأوضاع الدينية في الشام، وأثر ذلك على المؤسسات الدينية ومسيرة الحياة الدينية والعلمية.

وفيما يخص الدراسات السابقة المتخصصة في المذاهب الفقهية في بلاد الشام ، فإننا لم نعثر على أي بحث في الموضوع مباشرة لكننا عثرنا على مصنفات وكتب ومقالات تضمنت دراسات عن الحياة العلمية والمذهبية في المشرق ، وهو ما دفعنا للتعمق في الموضوع ومحاولة كشف خفاياه .

وبالنسبة لإشكالية البحث فإنها تتمثل في السؤال الآتي : كيف كانت خريطة المذاهب الفقهية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م ؟، ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية منها :

هل كان توزع المذاهب الفقهية متوازنا ؟

- هل كانت لتلك للمذاهب الفقهية مؤسسات علمية احتضنت نشاطها؟

- وما أثرهم على المجتمع في بلاد الشام؟

والإجابة عن هذه الأسئلة هو حل للإشكالية وتحقيق الأهداف المتوخاة من البحث ومنها:

- إحصاء علماء المذاهب الفقهية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.

- التعرف على مشاهير علماء المذاهب الفقهية في بلاد الشام .

- معرفة وكشف نشاط علماء المذاهب السنية .

ولمعالجة الإشكالية المطروحة والإجابة على فروعها اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي تقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها .

كما استعملنا المنهج الإحصائي لإحصاء علماء المذاهب الفقهية من خلال كتاب الدرر الكامنة والوقوف على أعمالهم ونشاطاتهم ومؤسساتهم العلمية .

ونظرا لطبيعة الموضوع والأهداف المرجوة ، اتبعنا خطة عمل مكونة من فصل تمهيدي إلى جانب ثلاث فصول رئيسية ، جاء الفصل التمهيدي بعنوان **الأوضاع العامة في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي** تطرقنا فيه بإيجاز إلى التعريف بكتاب "الدرر الكامنة في أعيان

المائة الثامنة " ومؤلفه أبي الحجر العسقلاني وقسمناه إلى ثلاث مباحث خصصنا الأول للتعريف بالمذاهب الفقهية التي عرفتها بلاد الشام ومصر في القرن 8 هـ/ 14 وعالجنا في المبحث الثاني الأوضاع السياسية والعسكرية ،وفي المبحث الثالث درسنا فيه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان : **المذهبان الحنفي والمالكي في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي** قسمناه إلى ثلاث مباحث فالأول تناولنا فيه المذهب الحنفي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة ، والثاني للمذهب المالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة ، والثالث للمؤسسات العلمية الحنفية و المالكية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.

والفصل الثاني تناولنا فيه **المذهبان الشافعي والحنبلي في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي** ، وقسمناه إلى ثلاث مباحث تطرقنا في الأول للمذهب الشافعي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة ، والثاني للمذهب الحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة ، والثالث للمؤسسات العلمية الشافعية والحنبلية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.

وفي الفصل الثالث تناولنا **اثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي** وقسمناه إلى ثلاث مباحث تطرقنا في الأول إلى أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م وفي

الثاني تناولنا أثار الحياة المذهبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م أما في المبحث الثالث فقد خصصناه لأثر الحياة المذهبية على الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م وفي نهاية البحث خاتمة ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها ثم ألحقنا العمل ببعض الملاحق رأينا ضرورتها لهذه الدراسة.

ولإنجاز هذا العمل تتبعنا المادة العلمية الموجودة في بطون المصادر التاريخية ، وبذلنا ما في وسعنا لاستخلاص ما يخدم موضوعنا ، وتمثلت تلك المصادر في كتب التاريخ العام ، وكتب التراجم والطبقات وغيرها ، إلى جانب جملة من المراجع والتي استفدنا منها كثيرا.

وساعدتنا المكتبات العامة والخاصة في تحصيلها .وتسهيلا للقارئ فإننا نصنف هذه المصادر والمراجع إلى أقسام :

أولا: كتب التراجم والطبقات : وتشكل القسم الأكبر والاهم من المصادر لأنها احتوت في بطونها معلومات كثيرة عن بحثنا:

-"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لشهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م)، يعد من الكتب الهامة في فن التراجم وهو موضوع دراستنا ويرتكز اغلب بحثنا عليه، وهوأول كتاب استوعب تراجم قرن بكامله، بما لم يسبق إليه أحد، وقد ترجم فيه حتى لشيوخه، الذين خصهم بكتاب مفرد، ولم يهمل أعلام النساء، من أميرات، وعالمات، ومحدثات، مما جعله عمدة أحوال نساء عصره. وأتبعه بذيل سماه (تاريخ المائة التاسعة) ألفه بعد ما دخل من المائة التاسعة أكثر من الثلث، ووصل فيه إلى وفيات سنة 832هـ/1428مرتبه على حروف المعجم، يحتوي على تراجم كثيرة لأعيان القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي من حكام ووزراء وكتاب

وعلماء منهم بعض علماء من المذاهب الأربع، أفادنا كثيرا في الوقوف على حياتهم ومكننا من التعرف على المذاهب السائدة في بلاد الشام في القرن 8هـ/14م ، وابن حجر هو شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي شامي الأصل مصري المولد والوفاة ،عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة. قصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل.

أما تصانيفه فكثيرة جداً منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة؛ تهذيب التهذيب؛ تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث؛ لسان الميزان؛ أسباب النزول؛ بلوغ المرام من أدلة الأحكام؛ تبصير المنتبه في تحرير المشتبه؛ إتحاف المهرة بأطراف العشرة.

-"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" لشمس الدين محمد بن احمد الذهبي(748هـ/1347م) أفادنا كثير ا في الوقوف على تراجم المذاهب الأربع ونشاطهم العلمي المبثوث في أجزائه الأربعة الأخيرة.

-"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (ت 799هـ/1396م) ، حيث جمع بين دفتيه تراجم كثير من علماء المالكية.

ثانيا: التواريخ العامة: تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد كتب الطبقات والتراجم، وهي تلك المصنفات التي تهتم بدراسة التاريخ عامة، واستفدنا منها بدرجة كبيرة خاصة التي تضمنت أحداثا لها علاقة بمذاهبنا الأربع خلال حقبة الدراسة ومنها :

-"البداية والنهاية" لعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م) ،يعتمد طريقة الحوليات، وكانت إفادتنا منه معتبرة في التعرف على المؤسسات العلمية التي شهدت نشاطا علميا .

- "السلوك لمعرفة دول الملوك" لأبي العباس أحمد المقريزي (ت845هـ/1441م)، وهوِ مِن أبرز كتب تاريخ مصر في العصر الوسيط، ألفه وفق نظام الحوليات، فسرد أحداث كل سنة لوحده، تضمن الكثير من الأحداث والتراجم التي لها علاقة بموضوع بحثنا، وأفادنا في ضبط بعض التواريخ.

-"الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" بدرالدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي (ت928هـ/1521م)، اختص هذا المصنف بتاريخ بيت المقدس ومدينة الخليل من أرض فلسطين، وتطرق فيه إلى مظاهر النشاط العلمي المتنوعة، وكانت إفادتنا منه كبيرة خاصة فيجانب مؤسسات العلم التي احتضنت نشاطا علميا للمذاهب السنية خلال حقبة الدراسة.

ثالثا: المصادر المتخصصة في المؤسسات العلمية:

نذكر منها:

- "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف بـ"الخطط المقريزية" لأبي العباس أحمد المقريزي (ت845هـ/1441م) يعد أهم كتاب لما تضمنه من وصف دقيق ومعلومات كثيرة للمؤسسات العلمية .

- "الدارس في تاريخ المدارس" لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت972هـ/1570م)،

يعد من أهم المصادر التي أرختِ لخطط دمشق، فهو يؤرخِ لدور العلم من مساجد ومدارس

وخوانق وربط وزوايا وترب، كم ا يذكر معلومات مفصلة عن بنائها وأوقافها وعلمائها، وقد أفادنا في التعرف على المؤسسات التي شهدت حركة علمية للمذاهب الفقهية الأربع.

خامسا: المراجع: وهي متعددة ومتنوعة، اشتملت على المراجع الحديثة، ودراسات جامعية من رسائل ماجستير ودكتوراه، ومقالات منشورة، بالإضافة إلى بعض الملتقيات العلمية التي تختص

بدراسات عن المذهب المالكي، وكانت استفادتنا منها متفاوتة، وبالنسبة للمراجع المتخصصة فهي قليلة تضمنت معلومات عامة، نذكر منها :

كما نذكر بعض المراجع التي أفادتنا في بعض محطات البحث مثل:

- "الأيوبيون والمماليك في مصر والشام"، و "العصر المماليكي في مصر والشام"، وكُلها للباحث المتخصص الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، أفادتنا في رسم صورة متكاملة عن الأوضاع العامة في الشام خلال حقبة الدراسة ، ومثلت لنا أطروحة الدكتوراه للأستاذ الدكتور فوزي رمضاني"إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)"مرجعا هاما استندنا عليه في كثير من المعلومات خاصة حول المذهب المالكي يضاف لها مقالته عن التعايش بين المذاهب السنية في مصر خلال القرنين7هـ/13-14م كما استعننا برسالة الدكتوراه للباحث خالد كبير علال "الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع هجريين "، والتي قدمت لنا ما يخدم بحثنا فيم تعلق بالمذهب الحنفي .

ونشير إلى أنّنا لاقينا في إنجاز هذه الدّراسة المتواضعة عدّة صعوبات؛ أبرزها : صعوبة التعامل مع كتاب الدرر خاصة انه في بعض الأحيان يذكر بعض التراجم لعلماء دون أن يحدد انتمائهم المذهبي الفقهي مما يجبرنا للبحث عنهم في كتب التراجم الأخرى ، وأحيانا أخرى لا يذكر من أي منطقة هو ويكتفي بأنه درس في المدرسة الفلانية او تولى التدريس في المسجد الفلاني فنضطر إلى البحث عن هذه الأماكن في الكتب المتخصصة، كما نشير إلى ضيق المدّة المحدّدة لإنجاز هذا البحث بالمقارنة مع صعوبة استخراج المادّة المعرفية في تاريخ المذاهب والرّبط بينه أو تحرير المباحث، بالإضافة إلى تركيز المراجع على الجانب السياسي للفترة المدروسة .

وما سبقِ ذكره جزء مما أفاد موضوع البحث من مصادر ومراجع، أما البقية فيجدها القارئ الكريم مثبتة في آخر المذكرة ضمن قائمة المصادر والمراجع.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من مد لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد لإنجاز هذا البحث وفي مقدمتهم أستاذنا المشرف رمضاني فوزي الذي لم يبخل علينا يوما بتوجيهاته القيمة ونصائحه المفيدة التي أفادتنا من البداية إلى النهاية، فجزاه الله عنا كل خير، كما نتوجه بالشكر إلى بعض الزملاء والأصدقاء الذين شجعونا على انجاز هذا العمل.

و نحمد الله عز وجل أولا و أخيرا على ما يسر ووفق، والله المستعان.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي القرن 8 هـ/ 14م.

المبحث الأول: التعريف بالمذاهب الفقهية التي عرفتها بلاد الشام خلال القرن 8 هـ/14م.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والعسكرية.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الرابع: الوضع الديني والعلمي.

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي

عاش ابن حجر (773هـ/1372م-852هـ/1448م) زمن دولة المماليك اللذين تمكنوا من سيادة مصر والشام بعد انهيار الدولة الأيوبية عام 648 هـ واستمرت الى ان سقطت على يد العثمانيين 932هـ/1517م [1]ويمكن عرض أحداث هذا العصر من خلال دراسته من عدة نواحي سياسية وعسكرية واجتماعية ودينية وعلمية.

ليس هدفنا هنا شرح تفاصيل الأوضاع من مختلف النواحي في هذه الفترة في بلاد الشام ومصر ، وانما التذكير ببعض الحقائق حتى تكون لنا أرضية مناسبة نحيط من خلالها بموضوع الدراسة، ويمكن القول ان المرء ابن بيئته ونتاج عصره مهما كان له من اراء ومواقف وفي هذا يقول محمد أبو زهرة: "للعصر الذي يعيش فيه العالم الأثر الذي يواجهه وقد يكون الأثر من جنس حال العصر، فان كان العصر فاسدا فسد الرجل ، وان كان صالحا صلح ، وقد يكون التأثير عكسيا ، فكثرة الفساد تحمل على التفكير الجدي في الإصلاح ، وكثرة الشر تحمل على استحصاد العزائم للخير"[2].

ولكن قبل ذلك سنتطرق في هذ الفصل الى التعريف بالمذاهب الفقهية التي عرفتها مصر وبلاد الشام خلال فترة الدراسة.

[1] محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي ط5 ،1421هـ/2000م ،ج7 ص69 .

[2] محمد أبو زهرة ،**ابن تيمية حياته وعصره ، آراءه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1991 م، ص 105.

المبحث الأول: التعريف بالمذاهب الفقهية التي عرفتها بلاد الشام ومصر في القرن 8 هـ/ 14م:

بعث الله (عز وجل) رسوله بالهدى ودين الحق وختم به النبوة والرسالة ، وجعل شريعتهخاتمة الشرائع متضمنة لقواعد أساسية تكفل لها البقاء، وكانت الأمة في حياته تتلقى منأحكام الشريعة ، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم حمل صحابته الأوفياء (رضي الله عنهم) لواء الدين والدعوة إليه وما إن اتسعت الفتوحات الإسلاميةحتى اشتدت الحاجة إلى مزيدمن الاجتهاد ، فكان الصحابة يفتون الناس حسب فهمهم للنصوص واجتهادهم في الاستنباطمنها ثم تلاهم رجال من التابعين وتابعيهم نذروا أنفسهملخدمة الدين وتبيين أحكامه للناسفكثر المجتهدون تبعا لاتساع الرقعة المفتوحة من البلاد الإسلامية فكان ظهور المذاهبالفقهية نتيجة طبيعية لتلك الحركة العلمية الدؤوبة[1].

عرف ابن تيمية المذاهب الفقهية وبيّن طريقتهم وذكر ان أصحابها على كتاب الله وسنة رسوله مجتمعين، ولايتفرقون[2] ووصفهم ابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063م) بأنهم : "هم أهل الحق كالصحابة وكل من سلك منهجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيل إلى يومناهذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم "[3].

وقد كتب الله تعالى لأربعة من تلك المذاهب الاستمرار الى يومنا هذا وهي:

1-المذهب الحنفي :ينسب الى ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المولود سنة 80هـ/699م ، والمتوفي ببغداد سنة 150هـ/767م على الأصح[4]، وهو عبارة عن اراء الإمام أبي حنيفة وأصحابه المجتهدين في المسائل الاجتهادية الفرعية، وتخريجات كبار العلماء من اتباعهم بناء على قواعدهم وأصولهم،

---

[1] احمد بن محمد نصير الدين النقيب، **المذهب الحنفي**، مكتبة الرشد،الرياض،ط1 ،1422هـ/2001م ج1، ص9-10.

[2] ابن تيمية احمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت728هـ/1328م)، **مجموع الفتاوى** ،تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء ، ط3، 1426هـ/2005م ،ج3، ص157.

[3]ابن حزم علي بن احمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت456هـ/1063م)، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت.ط، ج2، ص90.

[4]رمضاني فوزي ،**التعايش بين المذاهب السنية في مصر خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين**، الحكمة للدراسات التريخية ، مؤسسة كنوز الحكمة،العدد 14، 2018، الجزائر، ص 254.

أو قياسا على مسائلهم وفروعهم[1] ،وهو احد المذاهب الأربعة التي بقيت حتى اليوم ، يتميز في اتساع النظرة في تفسير مصادر القرآن والسنة وبالتحرر الذي لا نجده في المذاهب الاخربونشأ مذهبه بالكوفة وهي موطنه ، ثم انتشر في سائر بلاد العراق ، وعرف مذهبه بمذهب أهل الرأي[2]، ويذكر أصحاب طبقات الحنفية ان هذا المذهب شاع في بلاد بعيدة ومدن عديدة ، كنواحي بغداد ومصر، وبلاد فارس والروم ، وبلخ وبخارى ، وأكثر بلاد الهند والسند، و بعض بلاد اليمن وغيرها[3] .وكانت حياة الإمام رحمه الله كلها نصحا وإرادة خير لعامة الناس وخاصتهم، وروى الموفق بسنده إلى زفر بن الهنديل رحمه الله قال :" جالست أبا حنيفة عشرين سنة، فلم أر أحدا انصح للناس منه ، ولا أشفق عليهم منه ،وكان يذل نفسه لله تعالى " . ونسبت للإمام العديد من الكتب غير أن الكثير مما نسب إليه ليس من تأليفه مباشرة وإنما أملاه على بعض أصحابه أو أقواله وأرائه التي قاموا بجمعها وتدوينها ، وهي أشبه بالمذكرات التي يقصد بها قيد العلم وصونه من النسيان .

2-المذهب المالكي: ينسب إلى الإمام مالك بن انس الاصبحي ، المولود سنة 93هـ/711م على الأشهر ، والمتوفي بالمدينة سنة 179هـ/795م على الصحيح وهو ثاني المذاهب الأربعة في القدم[4] ،وهو عبارة عما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية ، والمقصود بالأحكام الاجتهادية تلك الأحكام التي توصل إليها المجتهد بكد الذهن وبذل الوسع في استنباطها من النصوص وتقوم أصول هذا المذهب على الكتاب ثم السنة التي يدخل فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة واقضيتهم ،وعمل أهل المدينة ،ثم القياس ، وهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر فيه نص على حكمه في ظل وجود وصف مشترك بينهما يكون هو علة الحكم التي بني عليها[5].

[1] نصير الدين النقيب، **نفس المرجع** ، ج1، ص39.

[2] نفسه، ص82-94.

[3] احمد تيمور باشا ،**نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعةوانتشارها عند جمهور المسلمين** ، تقديم :الشيخ محمد ابو زهرة ، دار القادري ، ط1 ،1411هـ/1990م، بيروت ، ص50.

[4] احمد تيمور باشا ،**المرجع السابق** ، ص61.

[5] محمد ابو زهرة،**تاريخ المذاهب الإسلامية**،دار الفكر العربي، القاهرة ،د.ت.ط، ص397.

وقد نشأ هذا المذهب بالمدينة وهي موطن الإمام مالك الذي عرف بعالم المدينة، ثم انتشر في الحجاز ، وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والأندلس والمغرب الأقصىإلى بلاد من اسلم من السودان[1]، عن طريق تلاميذه ، ثم قام أصحابه الذين لقنوا علومه بجميع رواياته ومختاراته ، فحرروها وخرجوا عليها، وتكلموا في أصولها ودلائلها ، وتفرقوا في الأمصار يحملون علوم مالك وآدابه فنفع الله بها خلقا كثيرا ومن أهم تلاميذه عبد الله بن مسلمة بنت قنعب الحارثي يكنى ابا عبد الرحمان (ت221هـ) وعبد الله بن الحكم المصري والليث بن سعد ويحي بن يحي القرطبي (ت234هـ) وأبي وهب القريشي ،وعيسى بن دينار القرطبي واشتهر الإمام مالك بالموطأ[2]وظهر ببغداد ظهورا كثيرا ، وضعف بها بعد أربعمائة سنة ، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة ، وغلب من بلاد خراسان على قزوين ...وظهر بنيسابور ... وكان ببلاد فارس ، وانتشر باليمن ، وكثير من بلاد الشام[3] .

3-المذهب الشافعي: ينسب هذا المذهب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي رضي الله عنه المولود بغزة سنة 150هـ/767م والمتوفي بمصر سنة 204هـ/819م[4]، وهو ثالث الأربعة في القدم ، يعد من تلامذة الإمام مالك ، ثم استقل عنه، يقول في ذلك :" مالك بن انس معلمي وعنه أخذت العلم ". وللمذهب الشافعي خمسة أصول وهي على الترتيب : كتاب الله تعالى ، والسنة ، والإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، وقول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف ، والقياس[5] وفي ذلك يقول :"والعلم طبقات شتى ،الأولى الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة ، ثم الثانية الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ، والثالثة ان يقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعرف له مخالفا منهم ، والرابعة اختلاف

[1] فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص255 .

[2] كتاب فقه وحديث ، عليه اعتمد أهل الحديث في تقرير كتبهم ، وعليه اعتمد عليه اهل الفقه في تقرير أصولهم وقواعدهم ، وهو أول مصنف كتب الله له البقاء حتى الطبع ،وسمي بذالك لقول أبي جعفر له: " وطئه للناس توطئة " .انظر

[3] القاضي عياض ابو الفضل بن موسى الأندلسي اليحصبي السبتي المالكي (ت544هـ/1149) ،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك** ،تحقيق : ابن تاويت الطنجي ، مطبعة فضالة ، المحمدية ،المغرب ،ط1965،1م، ج1،ص65.

[4] احمد تيمور باشا ، المرجع السابق ،ص70.

[5] كرم يوسف عمر القواسمي ،**المدخل الى مذهب الإمام الشافعي** ،تقديم :ا.د مصطفى سعيد الخن، دار النفائس،ط1423،1هـ/2003م ،ص61.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، والخامسة القياس على بعض الطبقات ، ولا يصار إلى شيء غير المتاب والسنة ، وهما موجودان ، وانم يؤخذ العلم من اعلى "[1].

ويذكر ابن خلدون انتشاره قائلا:" وأما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها وكان مذهبه قد انتشر بالعراق وخراسان وما وراء النهر"[2].

4-المذهب الحنبلي: ينسب إلى الإمام احمد بن حنبل الشيباني المولود ببغداد سنة 164هـ/780م والمتوفي بها سنة 241هـ/855م ، ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين[3].واقبل احمد على الشافعي يأخذ منه ما ليس عنده ، فسمع منه الموطأ[4]،وكان لهذه المجالسة دور فيتكشف الملكة الفقهية والعلمية للإمام احمد عند شيخه الشافعي فشهد له بالإمامة ؛ حيث قال :" احمد إمام في ثمان خصال : إمام في الحديث ،إمام في الفقه، إمام في اللغة ، إمام في القرآن، إمام في الفقر ، إمام في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة "[5]

ولعل من أعظم ما يدل على إمامة احمد بن حنبل، وتقدمه في الفضل والمكانة: صبره وثباته في أيام المحنة العظيمة التي بدأت زمن الخليفة العباسي المأمون ، واستمرت إلى زمن المعتصم ، ثم الواثق ، حيث حملوا الناس على القول بخلق القرآن ،وكان الإمام احمد رحمه الله في هذه المحنة ، امة ثابتا على الحق ، راسخا رسوخ الجبال ، يأبى أن يغش دينه ، وان يبدل معتقده ، رغم ما لقيه من التنكيل والتعذيب والسجن ، فعصم الله به خلقا كثيرين ، حتى جاء الفرج من الله تعالى، بتولية الخليفة المتوكل منصب الخلافة ، فرفع الله به الغمة ، ونصر مذهب اهل السنة[6] ، ويقوم مذهب أبي حنيفة على اسس يبينها ابن القيم في قوله: " وكانت فتاويه مبنية على خمسة أصول : النصوص ، وما افتى به الصحابة

[1]وحدة البحث العلمي، راجعه :أ.د.احمد الحجي الكردي، د.بومية محمد السعيد،ش.علي خالد الشربجي ،ش. عدنان بن سالم النهام ،**المذاهب الفقهية الأربعة** ،ط1 ، 1436هـ/2015م، ص140-146

[2]ابن خلدون، **المقدمة**، دار القلم ، بيرروت،1984م،ص448.

[3]فوزي رمضاني ، المرجع السابق ،ص256.

[4]عبد الله بن عبد المحسن التركي ،**المذهب الحنبلي** ،مؤسسة الرسالة، ط 1 ، 1423هـ/2003م، ج1،ص500

[5]وحدة البحث العلمي ،**المذاهب الفقهية الاربعة** ،المرجع السابق،ص170.

[6]وحدة البحث العلمي ،**المذاهب الفقهية الأربعة** ،المرجع السابق،ص173-174.

وإذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ، والأخذ بالمرسل ، والقياس للضرورة "[1]، وذكر ابن فرحون في الديباج ان مذهب احمد بن حنبل ظهر ببغداد ،ثم انتشر في كثير من بلاد الشام وضعف خلال القرن الثامن الهجري[2]،يقول في ذلك ابن خلدون:"واما احمد بن حنبل فمقلدوه قليل، لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية والإخبار بعضها ببعض وأكثرهم بالشام والعراق في بغداد ونواحيها ، وهم أكثر الناس حفضا للسنة ورواية للحديث ، وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورا بينا إلى القرن السابع "[3] .

5-المذاهب الفقهية الاخرى:لم نعثر على مذاهب أخرى في مصر وبلاد الشام في القرن الثامن الهجري من خلال كتاب الدرر الكامنة موضوع الدراسة وهذا ما يوكده ما جاء في كلام المقرزي في الخطط في كلامه عن سلطنة الظاهر بيبرس: "ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة للهجرة ،حتى لم يبقى في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الأشعري "[4]

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والعسكرية:

لقد وصل المسلمون الى مرحلة من الضعف والتدهور بعد سقوط الخلافة العباسية، بسبب بعدهم عن الإسلام والتناحر فيما بينهم مما جزء أمصارهم وفصل بعضهم عن بعض وما أصابهم من العزو الصليبي الذي روع الامنين والهجوم التتاري الذي أخاف السكان فانزووا في بقاع منعزلة [5]

---

[1]علي جمعة محمد ، **المدخل الى دراسة المذاهب الفقهية** ،دار السلام،ط1433،4هـ/2012م،ص248.

[2]ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق: د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.ط، ، المصدر السابق ،ج1،ص62.

[3]احمد تيمور باشا ، المرجع السابق ،ص82.

[4] المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والابتكار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1418هـ

[5] محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، ج 7، ص 11-12.

في ظل هذه الظروف برزت دولة المماليك كمنقذ للدولة الإسلامية خاصة بعد سقوط عاصمة الخلافة (656هـ/1258م) ومقتل الخليفة المستعصم بالله ودخول المغول دمشق ما جعل الملك المظفر سيف الدين قطز بالخروج لمواجهتهم وتحقيق اول هزيمة على المغول في موقعة عين جالوت[1] سنة 658هـ 1259م .

وما كان من طرد الصليبيين أيضا في جزيرة رودس[2] ، كما قام بيبرس البندقداري[3]بإحياء الخلافة العباسية من جديد وذلك من خلال رد الخلافة لبني العباس بعد ثلاثة سنوات من انقطاعها ، الا ان منصب الخلافة هذا كان صوريا فليس للخليفة فيه من الامر والنهي ، بل الامر كله يعود للسلطان[4]، انما أراد الظاهر بيبرس إعطاء الشرعية لحكمه ، حيث علق السيوطي وهو احد مؤرخي عصر المماليك قائلا : " واعلم ان مصر من حين صارت دار الخلافة ، عظم امرها وكثرتشعائر الإسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء" [5]

وينقسم العصر المملوكي الى قسمين هما:

---

[1] **عين جالوت**، اسم اعجمي لا ينصرف ، وهي بلدة لطيفة بين نابلس وبيسان من أعمال فلسطين ، كان الروم قد استولو عليها مدة من الزمن ثم استنفذها منهم صلاح الدين الايوبي سنة 579 هـ.انظر: الامام شهابالدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، **معجم البلدان**، تحقيق فريد بن عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية بيروت ابنان ، ط1 ،1310هـ/1990م ، ج4،ص200.

[2] **رودس**: هي جزيرة ببلاد الروم مقابلة للاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي اول البلاد الافرنجية، عرفت بانها دار صناعة المراكب البحرية طولها من جهة المغرب خمسون درجة وعرضها خمسة وثلاثون درجة ونصف. انظر ياقوت الحموي ،**معجم البلدان**، ج3 ،ص 79-80 .

[3] **بيبرس البندقداري**: هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي اليوي التركي سلطان الديار المصرية والشامية والاقطار الحجازية، هو رابع ملوك الترك، ولد سنة 620هـ بالقبجاق، وتوفي الخميس 27محرم 676هـ دام حكمه من سنة 659هـ الى سنة 675هـ انظر : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن ثغري بردي : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1، 1413هـ/1992م ، ج7، ص217.

[4] محمد شاكر، **التاريخ الإسلامي** ، ج7 ، ص13.

[5] السيوطي ،**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار احياء الكتب العربية ، مصر 1387هـ/1967م، ج2 ، ص94.

أ- **المماليك البحرية**:(684-784هـ/1250-1384م) وتمتد من تولي المعز ايبك التركماني حتى خلع الملك الصالح أمير حاج بن شعبان (ت 800هـ/1397م)[1] وتولى على هذه الدولة أربعة وعشرون سلطانا.

ب- **المماليك الجراكسة**: (784هـ-923هـ/1384م-1517م) ابتدأت دولتهم منذ قيام حكم الملك الظاهر سيف الدين برقوق سنة 784هـ/1384م ، واستمرت حت هزيمة طومان باي وإعدامه سنة 923هـ/1517م على يد العثمانيين ، وتعاقب على حكم هذه الفترة ثلاثة وعشرون سلطانا كلهم من الجركس الأتراك إلا اثنين منهم من أصل رومي[2]

إلا ان فترة حكم المماليك تميزت باشتداد المنازعات بينهم فما ان ينتصب السلطان للحكم الا ويتآمر كبار الجند على خلفه او قتله لينصب كبيرهم وهكذا[3].

وهذا ما يفسر كثرة تعاقب السلاطين في العصر المملوكي حيث ساد الحكم خلال حياة الحافظ ابن حجر أكثر من أربعة عشر سلطان.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

ان الأوضاع الاقتصادية تعكس الحالة الاجتماعية لذلك كان كل منهما مكمل للآخر، ويمكن ان نستعرض هذه الأوضاع في مصر في العهد المملوكي.

فبالنسبة للحالة الاجتماعية فقد تميز المجتمع بتنوع الاجناس والطوائف من الأديان المختلفة، ويمكن ان نميز تفاوتا طبقيا فيما يلي:

1-**الفئة الحاكمة**: وهم طبقة السلاطين والامراء الذين بيدهم تصريف شؤون البلاد ، ويتمتعون بالجزء الأكبر من خيرات البلاد ، وتجدر الإشارة الى نقطة هامة تخص هذه الفئة، وهي ان استقرار

[1] المقريزي ،**الخطط**، ج3 ،ص 131-132.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور ، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام** ، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ،1996، ص 266.

[3] محمود شاكر، المرجع السابق، ج7، ص14.

المجتمع ورقيه مرتبط بها ، فان كان الحكام أقوياء ومتمسكين بالشريعة استقر المجتمع وتقدم ، والعكس اذا كان السلاطين ضعاف وتنازعوا فيمابينهم تشتت المجتمع واضطرب .

2-**فئة العلماء والقضاة:** وكانت لهم مكانة مرموقة لدى العامة، وقد أشار الأستاذ رمضاني فوزي لأهمية هذه الفئة بقوله:" عثرت على كلام رائع لأحد المؤرخين العلماء وهو الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت 360هـ/970م) يصف فيه هذه الفئة مبينا مكانتها قائلا :" الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه ،حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر، وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم، فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا ،وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا "[1]، وهذا يعني أن العلماء لهم مكانة مرموقة في المجتمع، ويمِّثلون لِبنة أساسية في تركيبته، كيف لا ؟ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضلهم فقال:"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"[2].

حيث كان لهم دور في مهم في الحياة السياسية فمنهم من تقلد وظائف عليا في الدولة بالإضافة الى الخطط الدينية كالقضاء والامامة غيرها[3].

3- **فئة العوام:** وهم غالبية المجتمع تظم فئة التجار والحرفيين والفلاحين، ويقع عليها عبء الحروب والكوارث.

---

[1] - الآجري، **أخلاق العلماء**، راجعه : إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ،1398هـ/1978م، ص16_17.

[2]- الدارمي، أبو محمد عبد الله، **سنن الدارمي**، تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتا ب العر بي، بيروت، ط01، 1407هـ، ج01، ص100.

[3] رمضاني فوزي، **اسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)**، 1438هـ/2017م، جامعة الجزائر 02.

4- **فئة اهل الذمة:** اما بخصوص اهل الذمة فقد كان في مصر كل من النصارى واليهود ، وغلب على النصارى طائفة الاقباط الارثوذوكس اما اليهود فتعددت طوائفهم ومنهم الربانيون و السامرة . وقد كان لأهل الذمة دور كبير في انعاش الاقتصاد زمن المماليك[1]، وتنوع نشاطهم الاقتصادي بين التجارة والصناعات الصغيرة.

5- **فئة الرقيق:** وقد ساهم في تشكيل هذه التجار الافرنج خاصة من المدن الإيطالية، مما أدى الى تنوع أصول المماليك خاصة منذ القرن الثامن الهجري /الرابع عشر ميلادي فوجد منهم الاتراك والشراكسة والمغول والصقالبة والروم وغيرهم [2].

6-**فئة الاغراب:**وتعني الوافدين الى مصر و الشام من المناطق الإسلامية الأخرى سواء مرورا بها لأداء فريضة الحج او لطلب العلم او فرارا من الأوضاع السياسية المضطربة في البلاد الإسلامية ومن ذلك سقوط الخلافة العباسية على يد المغول (656هـ/1258م) وما نتج عنها من دمار وشتات[3].

أما عن الحالة الاقتصادية فمصر والشام تمتلكان ثروات لا بأس انعكس على النشاط الاقتصادي ، وقد احتلت التجارة الصدارة بوصفها المصدر الأول لثراء المماليك وقوتهم ، حيث عمل المماليك على تامين طرق التجارة داخل مصر مما أدى الى ازدهار طريق البحر الأحمر وموانئ مصر ومن اهم المنتجات التي تصل مصر التوابل[4] ، كما عمل سلاطين المماليك على اغراء تجار الشرق من اجل جلب بضائعهم الى مصر، وبالمثل فعلوا مع التجار الافرنج للتردد على مصر ومن ذلك المنشور الذي أصدره السلطان قلاوون الى التجار قال فيه:" من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ... يرحب بقدومهم الى مصر ويصف لهم محاسنها ...لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلات لمن تغرب عن الوطن

[1] قاسم عبده بلقاسم، **عصر سلاطين المماليك**، ص 254.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، **الايوبيين والمماليك**، ص 179.

[3] رمضاني فوزي، المرجع السابق، ص 41.

[4] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ/1997م،ج 4، ص 43.

..."[1] ، ان ازدهار التجارة كان له نتائج إيجابية على مصر وادى الى ضهور الفنادق التي كان ينزلها التجار للإقامة فيها وعقد صفقاتهم التجارية.

وبالنسبة للزراعة فقد ظلت تمثل المصدر بالنسبة لاقتصاد مصر وقد اهتم سلاطين المماليك بالزراعة باعتبارها الحرفة الأولى لغالبية السكان، وتجلى هذ اهتمام في العناية بالترع والجسور ومقايس النيل ونحوها. واهم ما اشتهرت به مصر انتاج القمح بالإضافة الى انتاج الكتان وقصب السكر والخضروات والفواكه وغيرها[2].

اما فيما يخص الصناعة فقد اشتهرت مصر بالصناعة الحربية من أسلحة وسفن وصناعة الزجاج والاخشاب والجلود والمنسوجات[3]، وعن الصناعة النسيجية يقول الباحث عبدالفتاح عاشور معلقا عليها: "وفي عصر سلاطين المماليك ارتقت الصناعة رقيا كبيرا ... ويكفي الإشارة الى الاقمشة الفاخرة المصنوعة من الحرير والصوف والكتان والقطن ... وقد خيطت من هذه الاقمشة الخلع السلطانية"[4]

المبحث الرابع: الوضع الديني والعلمي:

1. **الوضع الديني**: عاش الحافظ ابن حجر في بيئة سادت فيها العقيدة الاشعرية وذلك لتشجيع السلاطين على انتشارها من جهة وسعيهم للقضاء على آثار التشيع الذي خلفته الدولة الفاطمية بعد سقوطها من جهة أخرى، وبذلك صار الاعتقاد الاشعري، مذهبا رسميا للدولة بحيث من تكلم في باب الأسماء والصفات على منهج السلف أوذي بذلك[5].

اما في الأمور الفقهية فرجع الناس الى المذاهب الأربعة لأن المماليك منعوا جميع مذاهب الإسلام سوى هذه المذاهب ، كما جاء في الخطط المقريزية في الكلام عن سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري" ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك من سنة خمس

[1] القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج 13،ص 340.
[2] المقريزي، **الخطط**، ج3، ص 293 ،294.
[3] نفسه ، ج1 ، ص 195 ، 196 .
[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام** ، ص 312 .
[5] المقريزي، **المواعظ والاعتبار**،ج 2 ، ص ، 343 .

وستين وستمائة للهجرة ،حتى لم يبقى في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الأشعري "[1] الا ان المماليك كانوا شوافع تبعا لأسيادهم الأيوبيين حيثجعلوا قاضي القضاة شافعيا وقد كان هذا الأخير أوفر حضا لدى السلطان من غيره.

2. **الوضع العلمي**:لقد عرف عصر الحافظ ابن حجر العسقلانيانتشارا واسعا للعلوم وازدهارا في كافة الميادين وبلغت مصر في هاته الفترة شأنا كبيرا مما جعلها مركزا هاما لحفظ التراث الإسلامي،واهتم السلاطين بالحركة العلمية وكانوا يقربون إليهم أرباب الكمالات من كل فن وعلم فكان السلطان الغوري الذي حكم بين (906هـ-922هـ/1501م-1516م) يميل الى التاريخ وأهله ميلا زائدا ويقول:" سماع التاريخ أعظم من التجارب"[2]؛ ومن اهم أسباب هذا الازدهار:

- انتقال الخلافة العباسية الى مصر واتخاذ القاهرة عاصمة لها مما أدى الى هجرة العلماء من العراق والشام والأندلس اليها
- الحماسة الدينيةالتي استقرت في المجتمع حكاما ومحكومين وذلك بسبب الغزو الصليبي والهجوم التتاري لان الحرب كانت حرب دين [3]
- شعور العلماء بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم التي تحتم عليهم تعويض الخسارة الكبرى التي لحقت بالمكتبة الإسلامية من جراء الغزو المغولي، فقاموا بالتدوين والتأليف ولهذا كثرت الموسوعات العلمية في التفسير والحديث والفقه وغيرها
- مشاركة العلماء في أمور الحكم.
- انشاء المدارس والاوقاف والزوايا الاربطة.

1المقريزي، **المواعظ والاعتبار** ج 2 ، ص 344 .

[2] ابن الثغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج7 ، ص 182.

3 محمود شاكر ،المرجع السابق ، ج 7، ص 15 .

كما كان لانتشار العلم دور في انتشار المؤسسات العلمية مثل المدارس مثل المدرسة الظاهرية والمنصورية، والمكتبات حتى ألحقت كل مدرسة بمكتبة خاصة بالإضافة الى المكتبات الخاصة، يضاف الى المؤسسات العلمية الكتاتيب والزوايا والاربطة وغيرها.

وبذلك أسفر هذا النشاط العلمي عن ظهور عددا من العلماء أشهرهم:

- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تيمية [1] (ت 728هـ)
- الحافظ شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان أبوعبدالله شمس الدين الذهبي[2] (ت 748هـ).
- العلامة المؤرخ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون(ت 808هـ).
- ابن منظور (ت 711هـ)ومن اهم مؤلفاته المعجم الشهير (لسان العرب).

[1] أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن أبي الْقَاسِم بن تَيْمِية الْحَرَّانِي ثمَّ الدِّمَشْقِي الْحَنْبَلِيّ تَقِيّ الدّين أَبُو الْعَبَّاس بن شهَاب الدّين ابْن مجد الدّين ولد فِي عَاشر ربيع الأول سنة 661، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج1، ص168.

[2] مُحَمَّد بن أَحْمد بن عُثْمَان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأَصْل الفارقي ثمَّ الدِّمَشْقِي الْحَافِظ أَبُو عبد الله شمس الدّين الذَّهَبِيّ ولد فِي ثَالِث ربيع الآخر سنة 673، ابن حجر، **الدرر الكامنة** ،ج1،ص242 .

ومما تقدم ذكره خلال هذا الفصل التمهيدي ندرك الاوضاع والظروف التي سادت بلاد الشام ومصر خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي والتي أدت الي ازدهار وخصب الحياة العلمية بمصروالشام خلال فترة الدراسة المعنية، ويعكس هذا الازدهار كثرة المدارس على اختلاف مذاهبها وتخصصاتها، وتردد الطلاب عليها، وكذا كثرة العلماء من فقهاء ومحدثين ونحاة وغيرهم أمثالشيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي، والسبكي تاج الدين، وابن دقيق العيد وغيرهم كثير، الا انه رغم هذا الزخم العلمي وكثرة العلماء عرفت بلاد الشام ومصر في هذه الفترة تعصبا مذهبيا وصل الى ما لا يقبل، وهو ما سنتعرف عليه من خلال الحياة المذهبية و اثارها على المجتمع في بلاد الشام من خلال كتاب الدر الكامنة لابن حجر العسقلاني.

الفصل الأول

الفصل الأول

المذهبان الحنفي والمالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

المبحث الأول: المذهب المالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة

المبحث الثاني: المذهب الحنفي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة

المبحث الثالث: المؤسسات العلمية الحنفية والمالكية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

الفصل الأول: المذهبان الحنفي والمالكي[1] في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة:

سنتحدث في هذا الفصل عن المذهبان الحنفي و المالكي وذلك بإبراز اهم العلماء من هذان المذهبان والذين أورد لهم الحافظ ابن حجر تراجم في كتابه الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، هذا الكتاب الذي يعتبرأول كتاب استوعب تراجم قرن بكامله، بما لم يسبق إليه أحد، وقد ترجم فيه حتى لشيوخه، الذين خصهم بكتاب مفرد، ولم يهمل أعلام النساء، من أميرات، وعالمات، ومحدثات، مما جعله عمدة أحوال نساء عصره.

المبحث الاول: المذهب الحنفي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة:

قبل الحديث عن المذهب الحنفي في بلاد الشام في القرن الثامن هجري يجب ان نعرج على انتشار المذهب الحنفي قبل ذلك فكيف كان انتشار المذهب الحنفي؟

كان أبا حنيفة معارضاً للدولة الأموية (41-132هـ/662-750م) في آخرها، وقد حاول واليها إجباره على قبول منصب القضاء بالترغيب والترهيب. فأبى أبا حنيفة وتحمل ضرب السياط في سبيل ذلك. بل إنه قام بدعم ثورة زيد بن علي زين العابدينضد الخليفة هشام بن عبد الملك (حكم 105-125 هـ/724-743م)، ثم جاء العباسيون إلى الكوفة، وكان خليفتهم السفاح (حكم 132-136هـ/750-754م) اسماً على مسمىفابتعد أبو حنيفة عن السلطة، ورفض أن يتولى القضاء

[1] راعينا في تقسيمنا هذا –أي الحنفي والمالكي في فصل والشافعي والحنبلي في فصل – الأسبقية التارخية في الظهور .

للمنصور العباسي (136-158هـ/754-775م)، واستمر في معارضته حتى وصل الأمر إلى سجنه وتعذيبه.

مات أبو حنيفة دون أن يكون له مذهب يُعرف به وكان أتباعه يقتصرون على بعض الكوفيين. ثم إن السلطات بعد وفاة الإمام أبي حنيفة استطاعت أن تحتوي أكبر تلامذته، وهم: أبو يوسف القاضي (113-182هـ)، ومحمد بن الحسن الشيباني (131-189هـ)، وإناطة القضاء والإفتاء بهم. وكان أبو يوسف قد انضم إلى السلطة العباسية أيام المهدي العباسي (حكم 158-169هـ/775-785م) سنة 158، وظل على ولائه أيام الهادي (حكم 169-170هـ/785-786م) والرشيد (حكم 170-193هـ/786-809م). وما زال يتقرب من الخليفة حتى ولاه منصب قاضي القضاة، حيث صار تعيين قضاة الدولة بأمره. فكان لا يولي قاضياً إلاّ من أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه. وهذا معناه تبني الدولة العباسية بأسرها لمذهب أبي يوسف الحنفي.

يقول ابن حزم: "مذهبان انتشرا —في بدء أمرهما— بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف، كانت القُضاة من قِبَلِهِ من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية. فكان لا يولّي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه. ومذهب مالك... والناس سُرّاعٌ إلى الدنيا. فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به..."[1].

[1] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ):**رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ،ط2 ،1987 ،ج2 ، ص 229.

لقد انتشر مذهب أبي حنيفة في البلاد منذ أن مكّن له أبو يوسف بعد تولّيه منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، وكان المذهب الرسمي لها، بالإضافة لمذهب مالك في الحجاز. فلما مات مالك، صار المذهب الحنفي المذهب الرسمي الوحيد. فانتشر في العراق وفي مشرقها من بلاد العجم: فارس وما وراء النهر (تركستان) وأفغانستان والهند. كما كان المذهب الرسمي لعدد من دول المشرق كدولة السلاجقة، والدولة الغزنوية، وبعد قيام الدولة الايوبية في مصر والشام عمل الايوبيين على نشر المذهب الحنفي الذي ضيق عليه الفاطميين بالإضافة الى المذاهب الأخرى، وواصل المماليك على نهجهم بالتمكين للمذاهب الاربعة في مصر وبلاد الشام على حساب باقي المذاهب.

ويتضح لنا جليا من خلال دراستنا لكتاب الدرر الكامنة لابن حجر مدى انتشار المذهب الحنفي في بلاد الشام حيث يعتبر الأكثر انتشارا خلال القرن 8هـ/14م من خلال التراجم التي أوردها في كتابه حيث احصينا 131 عالم وفقهيه وقاض حنفي، كما انهم تقلدوا اهم الوظائف من القضاء والاشراف على الجوامع والمدارس والزوايا الحسبة والنظر في بيت المال وغيرها، ويمكننا ان نستشف ذلك من خلال بعض التراجم التي أوردها ابن حجر في الدرر عن العلماء الحنابلة في بلاد الشام، واللذين منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1. مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن الواني أَمِين الدّين الدِّمَشقِي الْحَنَفِيّ الْمُؤَذّن أَبُو عبد الله ولد سنة 684هـ وَطلب الحَدِيث فَسمع من ابْن عَسَاكِر وَابْن مُؤمن وَجَمَاعَة ،كَانَ أَبوهُ رَئِيس المؤذنين ، قَالَ الذَّهَبِيّ كَانَ من أنبه الطّلبَة وأجودهم نقلا مَاتَ فِي شهر ربيع الأول سنة 735هـ[1].

[1]ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج5 ،ص 15.

2. مُحَمَّد بن أَحْمد بن عَليّ بن عبد الْغَنِيّ الرقي الْمُقْرِئ الْحَنَفِيّ شمس الدّين قَالَ الْمزي هُوَ من ولد عمار بن يَاسر قَالَ الذَّهَبِيّ عني بِالسَّمَاعِ وَدَار على الروَاة وتميز فِي الْفِقْه والقراءات وَرُوِيَ الْكثير قَالَ وَكَانَ عَالما فَاضلا متواضعا تصدر للإقراء وَولى مشيخة الإقراء بدار الحَدِيث الأشرفية توفي سنة 742هـ وَكَانَ تصدر للقراءات بِالْمَدْرَسَةِ الأشرفية[1].

3. إِبْرَاهِيم بن إِسْحَاق عفيف الدّين ابْن فَخر الدّين الدِّمَشْقِي الْحَنَفِيّ ولد بِدِمَشْق فِي لَيْلَة عَاشُورَاء سنة 695هـ، اجاز لَهُ أَبُو الْفضل ابْن عَسَاكِر وَأَبُو الْفرج بن وريدة وآخَرين وَولى نظر الْجَيْش بِدِمَشْق والحسبة وَمَات فِي ربيع الأول سنة 778هـ ويقول بن حجر وهو من شيوخي بالْإِجازة الْعامَّة[2].

4. أَحْمد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم المراغي ثمَّ الدِّمَشْقِي الْحَنَفِيّ الْمَعْرُوف بِابْن الشهَاب الرُّومِي ولي إِمَامَة الْحَنَفِيَّة بالجامع وتدريس العينية ومشيخة الخاتونية وَكَانَت لَهُ زَاوِيَة بالشرق الشمالي مَاتَ فِي صفر سنة 742هـ[3].

5. أحمد بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن قاسم بن حبيب بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّديق كذا ذكر نسبه الجمال في تاريخه وقال الشّيخ الإمام العلامة جلال الدّين الرّومي الحنفيّ كان من أئمّة السّادة الحنفيّة فقيها أصوليا نحويا بارعا دينا زاهدا له كرامات وأحوال مشهورة عنه

[1] ابن حجر، نفسه ، ج5 ، ص35.
[2] نفسه، ج1 ،ص 17.
[3] نفسه، ج1، ص 114.

سلك تصدر للإقراء والتدريس بعد موت والده، وانتفع به الطّلبة وقصد بالفتيا من البلاد وكان ذا حرمة وافرة عند ملوك الرّوم وأصحاب دولتهم مع عدم الالتفات إلى ما في أيديهم مات في سنة 712هـ[1].

6. عبيد الله بن محمّد بن عبد العزيز السمرقندي ولى الدّين الحنفي المعروف بالبار شاه نزيل دمشق كان فاضلا عابدا قدم دمشق فشغل النّاس بالجامع والظاهرية ثمّ ولي تدريس النورية قبل موته بستّة أيّام (ت701هـ)[2]

7. عليّ بن داود نجم الدّين الخبازى الحنفيّ الدّمشقي من احفاد عبد الله بن الزبير، ولي الظّاهريّة سنة 722هـ وكان بقيّة أعيان الشاميين في العربيّة كتب عنه البرزالي[3] من نظمه ووصفه بالتميز في الفقه والعربية وصحّة المناظرة وملازمة الاشتغال، وقال الذّهبيّ في معجمه كان من أذكياء وقته مع الدّيانة والورع مات في 24 رجب سنة 745هـ[4].

8. عليّ بن عليّ بن محمّد بن أبي العزّ الحنفيّ قاضي القضاة بدمشق ثمّ بالديار المصرية ثمّ بدمشق وفاته سنة 772هـ[5].

9. محمّد بن عبد الشبلي الدّمشقي ثمّ الطرابلسي الحنفيّ بدر الدّين بن تقيّ الدّين كان أبوه قيم الشبلية بدمشق وولد هو سنة 712هـ ولي قضاء طرابلس سنة 755هـ بعد قتل قاضيها بيد اللّصوص

---

[1] ابن حجر، نفسه، ج1، ص 352

[2] نفسه، ج3 ، ص242.

[3] هو أَبُو مُحَمَّد الْقَاسِم بن الْعدْل الْكَبِير بهاء الدّينمُحَمَّد بن يُوسُف بن الْحَافِظ زكي الدّين البرزالي الإشبيلي الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي(665-739 هـ/1267-1339 م). أنظر:خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ): **الأعلام**،دار العلم للملايين ،ط 15،2002 م، ج5، ص182.

[4] ابن حجر: المصدر السابق ج 4، ص55.

[5] نفسه، ج 4، ص 103.

وذكره الذّهبيّ في المعجم المختص وقال الفقيه المحدث العالم أبو البقاء من نبهاء الطّلبة وفضلاء الشّباب سمع الكثير وعني بالرواية وقرأ على الشّيوخ وكتب عني، ومات سنة 769هـ[1].

10. القاضي شمس الدّين بن صفي الدّين الحريري الحنفيّ حدث وتفقه ودرس وكانت له عدّة محفوظات في الفقه والنحو وغيرهما منها الهداية ولي قضاء دمشق ودرس بالظاهرية وغيرها ثمّ طلب إلى مصر فولي القضاء بالديار المصرية وأضيف إليه تدريس الصالحية والناصرية وجامع الحاكم وغيرها ، قال الذّهبيّ كان صارما قوالا بالحقّ حميد الأحكام قليل المثل متين الدّيانة كان متشددا في الأحكام غير ملتفت لذوي الجاه كثير التقعر في الكلام وكان كثير الإهانة لكتاب النّصارى وإذا رأى أحدا منهم راكبا أنزله وألزمهم الصغار والتنكيل وإذا رأى من عليه ثياب سريّة أهانه فكانت أكباد الأقباط تتفتت منه مات سنة 728هـ[2].

11. الشّيخ محيي الدّين شيخ الحنفيّة محمّد بن عليّ بن عبد القوي بن عبد الباقي الدّمشقي الحنفيّ ولد سنة 647هـ رأيت بخط ابن رافع وكان مديما للاشتغال ورعا زاهدا متواضعا ماهرا في مذهب الحنفيّة انتفع به الطّلبة وحدث ومات في رمضان سنة 724هـ[3].

12. محمود بن أحمد جمال الدّين بن سراج الدّين الحنفيّ المعروف بابن السراج وكان فاضلا في الأصول والفقه وقورا ساكنا يرتل عبارته وله مؤلفات ودرس بالخاتونية والريحانية وغيرهما ثمّ ولي قضاء الحنفيّة بدمشق مرّتين مات في ذي الحجّة سنة 770هـ[1].

---

[1] ابن حجر، نفسه، ج 5، ص234.

[2] نفسه، ج 5، ص290.

[3] نفسه، ج 5، ص322.

13. يوسف بن محمّد بن رجب الحنفيّ محتسب دمشق أقام في الحسبة مدّة مشكور السّيرة وكان بيده نظر المرستان النوري ومات في جمادى الآخرة سنة 704هـ[2].

[1]ابن حجر، نفسه، ج 6، ص80.

[2]نفسه، ج 6، ص241.

المبحث الثاني: المذهب المالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة:

قبل التطرق الى المذهب المالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م يجب ان نعرج على بداية ظهوره وكيف كان انتشاره في بلاد الشام قبل هذه الفترة، فالمذهب المالكي ينسب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي، المولود سنة93هـ/711م، والمتوفى سنة179هـ/795م على الصحيح[1]، وقد نشأ هذا المذهب بالمدينة وهي موطن الإمام مالك الذيعرف بعالِم المدينة، ثم انتشر تدريجيا في باقي المناطق.

وتقوم أصول هذا المذهب على الكتاب ثم السنة التي يدخل فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة وأقضيتهم وعمل أهل المدينة، ثم القياس، وهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر فيه نص على حكمه في ظل وجود وصف مشترك بينهما يكون هو علة الحكم التيبني عليها[2].

وعن ظهور المذهب المالكي في بلاد الشام، فإن ذلك يرجع إلى تلاميذه الذين درسوا عليه في المدينة، ثم أخذوا عنه علمه ورجعوا إلى مصر والشام ليِّعلموه للناس، ومن أشهر تلامذة الإمام مالك الذين رسخوا المذهب في الشام[3] إلى غاية العصر المملوكي نذكر:

[1] ابن فرحون المالكي، المصدر السابق ، ج01، ص133.

[2] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ص 397.

[3] رمضاني فوزي: **اسهامات المالكية** ،ص15.

1. مروان بن محمد بن حسان الأسدي الدمشقي (ت210هـ/825م) المعروف بالطاطري، من أصحاب مالك الذين رووا عنه الحديث والكثير من المسائل، وكان صدوقا، وبالتالي فهو ممن أدخلِ عِلم مالك إلى بلاد الشام[1].

2. أبو يعقوب إسحاق بن عيسى بن نجيح، المعروف بابن الطباع (ت215هـ/ 830م)، سمع من الإمام مالك، وكان صدوقا ثقة، وروى عنه مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب "الصحيح"[2].

3. أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي (ت218هـ/621م)، صحب مالكا وروى عنه "الموطأ" وغيره من المسائل والأحاديث، وكان ثقة، وعلى يديه كان دخول المذهب المالكي إلى بلاد الشام[3].

4. أصبغ بن الفرج الأموي (ت225هـ/1416م)، تفقه على ابن القاسم وأشهب وابن وهب، ولم يأخذ عن مالك، لأنه دخل المدينة حين توفي، وبالرغم من عدم لقياه للإمام مالك وأخذه عنه مباشرة، إلا أنه كان من أعلم خلق الله بآراء مالك، يعرفها مسألة، ويعرف متى قالها، ومن خالفه فيها[4].

---

[1] القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ج1، ص243.

[2] نفسه، ج1، ص259.

[3] نفسه، ج1، ص241.

[4] نفسه ، ج1 ، ص325-328.

5. محمد بن إبراهيم الإسكندري، المعروف بابن المواز (ت269هـ/882م)، فقيه كبير ألّف كتابه المشهور بالموازية، رد فيه فروع المذهب إلى أصوله، حتى قيل عنه إنه أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين وأصحه مسائل[1].

6. أبو بكر محمد بن علي النابلسي (ت 357هـ/967م)، كان من كبار علماء المالكية في الشام، وبالضبط في مدينة الرملة، وهو رجل معروف بالعلم[2].

7. أبو عبد الله محمد بن رضي الدولة، المنعوت بالأسعد، المعروف بالقطان، المقدسي الأصل، المصري المولد والدار (ت613هـ/1216م)، طلب العلم في مصر، وأخذ عن العلماء، ثم رحل إلى دمشق وسمع من بعض المشايخ، وحدث، فهو شامي، مصري، مالكي ا لمذهب، يتنقل ويرتحل فيستفيد ويفيد[3]

من خلال ذلك يتضح لنا ان مذهب الامام مالك وصل الى بلاد الشام قبل فترة المماليك ومنذ حياة الإمام مالك عبر تلاميذه، الا أن وجودهم قبل العصر الأيوبي والمملوكي كان قليلا، ثم تزايد تدريجيا حتى صار واضحا وجليا، خاصة لما اعتمد المماليك كما جاء في الخطط المقريزية في الكلام عن سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري الذي ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي

[1] القاضي عياض، نفسه، ج1 ،ص 405-407.

[2] نفسه ، ج2 ،ص 19.

[3] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ) :**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ج44، ص165.

وحنبلي[1]، وهذه القلة لها تفسيرات عديدة، منها سيطرة المذهب الشيعي على مصر والشام والذي يتنافى مع المذاهب السنية ، وبالتالي الحد من انتشار هذا المذهب، كذلك دور العامل السياسي ودعمه القوي في نشر المذهب الشافعي، ويظهر لنا ذلك جليا من خلال دراستنا لكتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة حيث احصينا ان علماء المالكية في بلاد الشام بلغ ثمانية وثلاثين عالما او قاضيا او فقيها ، كما سجلنا ان الفقهاء المالكية من المغاربة كان لهم باع في بلاد الشام سواء في الفقه او القضاء ويذكر ابن حجر–على سبيل المثال لا الحصر– في ترجمته لاحد فقهاء الشام من المالكية وهو إسماعيل ابن محمد اللخمي الغرناطي المالكي (ت 771هـ/1369م) بقوله "... وَلم يكن للمالكية بِالشَّام مثله فِي سَعَة علومه وَكَانَ يستحضر غَالب سيرة ابْن هِشَام وَبَالغ ابْن كثير فِي الثَّنَاء عَلَيْهِ ..."[2]

ومن الفقهاء المالكية في الشام الذين ترجم لهم ابن حجر في الدرر واصولهم مغاربة نذكر منهم:

1 . إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن أبي الْقَاسِم الْقَيْسِي السفاقسي الْمَالِكِي ولد فِي حُدُود سنة 697هـ/1299 وَسمع ببجاية من شيخها نَاصِر الدّين ثمَّ حج وَأخذ عَن أبي حَيَّان بِالْقَاهِرَةِ وَعَن غَيره ثمَّ قدم هُوَ وَأَخُوهُ دمشق سنة 738هـ/1338م، فسمعا كثيرا من زَيْنَب بنت الْكَمَال وَأبي بكر بن عنتر وَأبي بكر بن الرضي والمزي وَغَيرهم وَمهر فِي الْفَضَائِل وَجمع إِعْرَاب الْقُرْآن وَكَانَ سَاكِنا، ذكره الذَّهَبِيّ فِي المعجم الْمُخْتَص، كَانَت وَفَاته فِي ثامن عشر ذِي الْقعدَة سنة 742هـ/1341م[3].

[1] المقريزي: **المواعظ والاعتبار** ج 2، ص 44.

[2] ابن حجر ، المصدر السابق، ج 1، ص 453.

[3] نفسه، ج1، ص61.

2 عبد الله بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أَحْمد بن خلف ابْن الْحَاج التجِيبِي الأندلسي ثمَّ التّونسِيّ ثمَّ الدِّمَشْقِي الْمَالِكِي إِمَام محراب الْمَالِكِيَّة بِدِمَشْق وَابْن إِمَامهمْ ولد سنة 675هـ/1276م وَقدم مَعَ أَبِيه فِي سنة 684هـ/1285م وَسمع من الْفَخر عَليّ والتاج الْفَزارِيّ وَالْجمال ابْن الشريشي وَغَيرهم قَالَ البرزالي رجل فَاضل مضبوط الْأَمر مصون نزه الْعرض من خِيَار الْفُقَهَاء اشْتغل وَحفظ وَله عباده وَورد فِي اللَّيْل وَانْقِطَاع وَقَالَ الذَّهَبِيّ لَازم حَلقَة شهَاب الدّين ابْن فَرح وَحمل جملَة من فقه الحَدِيث وَكتب الطباق وبرع فِي مذْهبه وَقَالَ ابْن كثير كَانَ رجلا صَالحا مجمعا على جلالته وَدينه وَمَات فِي ثامن عشر صفر سنة 743هـ/1342م[1] .

3 عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن السجلماسي الْمَعْرُوف بِابْن الْحَفِيد أَبُو الْقَاسِم الْمَالِكِي ولد سنة بضع عشرَة وَقدم من بِلَاده إِلَى الحج فَدخل الْقَاهِرَة ثمَّ دخل حلب تَاجِرًا ثمَّ رَحل إِلَى بَغْدَاد فِي التِّجَارَة ثمَّ حج وَدخل الْقَاهِرَة وَعَاد إِلَى حلب قَاضِيا للمالكية فباشره إِلَى ان عزل فِي سنة 787هـ/1385م بِالْقَاضِي جمال الدّين التحريرى وَكَانَ فَاضلا كثير الاستحضار للعربية واللغة وَالْأُصُول قَالَ القَاضِي عَلَاء الدّين فِي تَارِيخه كَانَ كَلَامه أَكثر من علمه وَكَانَ عفيفاً فِي الْقَضَاء ، سكن فِي غَزَّة مُدَّة وَفِي الْقُدس مُدَّة إِلَى ان مَاتَ فِي سنة 789هـ/1387م[2].

4 مُحَمَّد بن أَحْمد بن عَليّ بن جَابر الأندلسي أَبُو عبد الله الهواري الْمَالِكِي الْأَعْمَى ولد سنة 698هـ/1299م وَقَرَأَ الْقُرْآن والنحو على مُحَمَّد بن يعِيش وَالْفِقْه على مُحَمَّد بن سعيد الرندي والْحَدِيث على أبي عبد الله الزواوي ثمَّ رَحل إِلَى الديار المصرية وَصَحبه أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن يُوسُف

[1] ابن حجر، نفسه، ج3، ص 67.

[2] نفسه، ج3، ص 134.

الغرناطي فَكَانَ ابْن جَابر ينظم والغرناطي يكْتب ، حجا ورجعا إِلَى الشَّام فأقاما بِدِمَشْق قَلِيلا ثمَّ تحولا إِلَى حلب وسكنا البيرة فاستمرا بهَا نَحوا من خمسين سنة ، وَمَات فِي جُمَادَى الْآخِرَة سنة 780هـ/1378[1] .

5 القَاضِي شرف الدّين أَبُو الرّوح الْحِمْيَرِي المالكى ولد سنة 664هـ/1262م بزواوة[2] وتفقه ببجاية على أبي يُوسُف يَعْقُوب الزواوي ثمَّ قدم الْإِسْكَنْدَرِيَّة فتفقه بهَا ثمَّ رَجَعَ إِلَى قابس وَولي الْقَضَاء بهَا ثمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّة فَأَقَامَ يَسِيرا ثمَّ دخل مصر يشغل النَّاس بالجامع الْأَزْهَر وَسمع من الدمياطي ثمَّ دخل دمشق فِي سنة 707هـ/1307م ودرس بالجامع الْأمَوِي الاخنائى وَولى تدريس الْمَالِكِيَّة بالزاوية الَّتِي بِمصْر وَأعْرض عَن الحكم وَأَقْبل على التصنيف فَكتب شرح مُسلم فِي اثْنَي عشر مجلدا وَسَمَاهُ إِكْمَال الْإِكْمَال جمع فِيهِ بَين الْمعلم وإكماله وَشرح النَّوَوِيّ وَزَاد فِيهِ فَوَائِد ومسائل من كَلَام الْبَاجِيّ وَابْن عبد الْبر وَأبْدى فِيهِ سُؤَالَات مفيدة وأجوبة عَنْهَا وَشرح الْمُخْتَصر فى الْفِقْه لِابْنِ الْحَاجِب فوصل إِلَى الصَّيْد فِي سَبْعَة أسفار وَشرح مُخْتَصر ابْن يُونُس فِي سِتَّة وَله كتاب فِي الوثائق وَآخر فِي الْمَنَاسِك وَفِي مَنَاقِب مَالك ورد على ابْن تَيْمِية فِي مسالة الطَّلَاق وَشرح فِي جمع تَارِيخ من الْمُبْتَدَأ كتب مِنْهُ عشرَة أسفار قَالَ ابْن فَرِحُونَ انْتَهَت إِلَيْهِ رئاسة الْفَتْوَى فِي الْمَذْهَب بِمصْر وَالشَّام وفَاق الأقران توفي سنة 743هـ/1344[3].

[1] ابن حجر ، نفسه، ج5، ص 70.

[2] زَوَاوَةُ: بفتح أوّله، وبعد الألف واو أخرى: بليد بين إفريقية والمغرب. ياقوت الحموي ،**معجم البلدان**، ج3 ،ص 155.

[3] ابن حجر ،المصدر السابق، ج4 ،ص 247.

ومن خلال التراجم التي أوردها ابن حجر في الدرر لأئمة المذهب المالكي نلاحظ ان المذهب المالكي اخذ يتمكن في بلاد الشام ويظهر ذلك جليا من خلال تولي العديد من منتسبيه لمناصب في الدولة سواء القضاء او الحسبة او الافتاء او النظر في بت المال او التدريس في مختلف المدارس ، حيث انه خلال القرن 8هـ/14م نجد ان من المالكية من كان اول من ولي القضاء في كل من طرابلس وحماة وحلب وهم مُحَمَّد البقاعي الْمَالِكِي قَاضِي طرابلس (ت 776هـ)هُوَ أول من ولّي قضاءها من الْمَالِكِيَّة[1] ، وإِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد اللَّحْمِيّ الغرناطي الْمَالِكِي (ت 771هـ) الذي ولّي قضاء حماة[2]. كما ولّي أَحْمد بن ياسين بن مُحَمَّد الرباحي الْمَالِكِي (ت 764هـ) قَضَاء الْمَالِكِيَّة بحلب وهُوَ أول من وليه بهَا من المالكية[3].

ومنهم من تولى الحسبة كإِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد السَّعْدِيّ الاخنائي[4] الْمَالِكِي ولي قبل الْقَضَاء الْحِسْبَة وَنظر الخزانة وَنظر المرستان (ت 777هـ)[5].

ومنهم من تولى القضاء وهم كثر امثال برهَان الدّين إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي الْمَالِكِي (ت 796هـ) ولى قَضَاء الْمَالِكِيَّة بِدِمَشْق[6]،وأَحْمد بن أبي الْخَيْر سَلامَة بن أَحْمد بن سَلامَة الإسكندري الْمَالِكِي ولي قَضَاء دمشق فَدَخلَهَا فِي جُمَادَى الأولى سنة 717هـ وقدرت وَفَاته بهَا فِي

[1] ابن حجر، نفسه، ج6، ص 75.
[2] نفسه، ج1، ص 453.
[3] نفسه، ج1، ص388.
[4]الاخنائي: وتنسب الى إِخْنَا: بالكسر، ثم السكون، والنون، مقصور، وبعض يقول: إخنو، وهي مدينة قرب الإسكندرية، انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص 124.
[5] ابن حجر، المصدر السابق، ج1، ص65.
[6] نفسه، ج1، ص31.

ذِي الْحجَّة سنة 718هـ[1]، وأَحْمد صدر الدّين بن عبد الظَّاهِر بن مُحَمَّد الدَّمِيرِيّ الْمَالِكِي (ت 769هـ) ولي قَضَاء حلب سنة 763[2]، ومُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن عَتيق بن رَشِيق الْمَالِكِي (ت 720هـ) وعينه بدر الدّين ابْن جمَاعَة لقَضَاء دمشق [3].

ومنهم من درس بالجامع الاموي كالقَاضِي شرف الدّين أَبُو الرّوح الْحِمْيَرِي المالكي (ت 743هـ)[4]، كما ام مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن يحيى الْمَالِكِي الصنهاجي ثمَّ الدِّمَشْقِي (ت 702هـ) بمحراب المالكية في جامع بني امية[5]

كما تجدر الإشارة الى ان بعض قضاة المالكية تميزوا بالصرامة في تطبيق الاحكام وهذا ما يظهر من خلال ترجمة ابن حجر لمحَمَّد بن سُلَيْمَان بن سومر الْبَرْبَرِي الزواوي جمال الدّين الْمَالِكِي الْفَقِيه القَاضِي(ت 717هـ) بقوله: " ... وَولي قَضَاء دمشق سنة 687هـ/1285م فاستمر ثَلَاثِينَ سنة وَكَانَ صَارِمًا مهيبا أراق دم جمَاعَة تعرضوا للجناب المحمدي..."[6]

[1] ابن حجر، نفسه، ج1 ص162.
[2] نفسه، ج1، ص202.
[3] نفسه، ج5، ص168.
[4] نفسه، ج4، ص247.
[5] نفسه، ج5، ص25.
[6] نفسه، ج5، ص190.

المبحث الثالث: المؤسسات العلمية المالكية والحنفية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

ان للمؤسسات العلمية دور في المحافظة على رسوخ المذاهب، والتي عرفت ازدهارا كبيرا في عهد المماليك من اجل ترسيخ المذاهب السنية والقضاء على المذهب الشيعي مقتفين بذلك اثر اسلافهم الأيوبيين، ولذلك خصصنا لها مبحثا نتناول فيهبالدراسة المراكز التي شهدت نشاطا علميا خلال هذه الفترة، وحاولنا التركيز على المؤسسات المشتركة للمذهبين المتناولين في هذا الفصل وهما المالكي والحنفي.

اولا: المساجد :

معروف ان المساجد أقدم المؤسسات العلمية في الإسلام، فرغم انه كان قبل كل شيء مكان للعبادة، الا انه كان إلى جانب ذلك معهدا لتعليم القرآن الكريم وتفهم آياته وأحكامه، ولدراسة الحديث النبوي الشريف كذلك[1]، ومن خلال دراستنا لكتاب الدرر والعمل الاحصائي الذي قمنا به اتضح لنا أن المذهب الحنفي انتشر بشكل واسع في بلاد الشام ويتضح ذلك من حيث عدد العلماء والفقهاء ومنه فان عددا كثيرا من المساجد كانت حنفية المذهب، الا انه وجدت مساجد اختصت بالمذاهب الأخرى دون غيرها، وأخرى كانت مشتركة بين مذهبين او اكثر، ولا يسعنا الحال الى ذكرها جميعا، وعليه سنذكر بعضها ومنها[2]:

1 - جامع التوبة بحلب ، والذي كان في البداية عبارة عن مسلخ لذبح الأغنام، يتأذى الناس من رائحته، فحوله القاضي المالكي جمال الدين التحريري (ت807هـ/1404م)[3] إلى جامع تقام فيه صلاة الجمعة.

---

[1] المقريزي، **الخطط**، ج02، ص326

[2] فوزي رمضاني: **اسهامات المالكية**، ص65 .

[3] محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت 832هـ)لفاسي، **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، ج2، ص55.

2- مسجد النحاة بحلب وينسب لعالمين مالكيين غلب عليهما تخصص النحو، هما الإمام أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني (ت779هـ/ 1378م) ، ورفيقه أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي الأعمى (ت780هـ/1378م) وكانا يعرفان بالأعمى والبصير[1]، ومن المؤكد أن نسبة المسجد لهما دليل على نزولهما به وإفادة الناس فيه، خاصة وأنه كان لهما اهتمام بالحديث، فالشيخ أبو جعفر كتب نسخة من صحيح البخاري، ونسخة من صحيح مسلم.

3-الجامع الأموي بدمشق، وقد جمع المذاهب الأربعة لكل مذهب محرابه وممن أم الناس في محراب المالكية[2] بهذا الجامع نذكر الشيخ الإمام الفقيه محمد بن إبراهيم بن شمس الدين الصنهاجي (ت702هـ/1302م) وكان فقيها فاضلا[3]، ومارس الإمامة كذلك الإمام المفتي الزاهد أبو عمرو أحمد بن أبي الوليد محمد الدمشقي (ت745هـ/1344م)[4].

وكذلك درس به من المالكية الشيخ شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي(ت743هـ/1342م)[5] ، أقام بدمشق سنين، ودارت عليه الفتيا في مذهب الإمام مالك. وتصدر للتدريس أيضا بهذا الجامع، الفقيه نور الدين علي بن عبد النصير السخاوي (ت76هـ/1354م)[7].

يشار الى ان الجامع الاموي ظلت خطبة وصلاة الجمعة تقام فيه لوحده داخل مدينة دمشق دون غيره من المساجد، إلى أن استحدثت خطبة ثانية في جامع الشهرزوري سنة 765هـ/1363م، ومعنى

---

[1] الزركلي، المرجع السابق، ج05، ص328.

[2] كان في الأصل يسمى محراب الصحابة، علي الطنطاوي، **الجامع الأموي في دمشق**، مطبعة الحكومة، دمشق، د.ت.ط،ص29.

[3] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج05، ص25.

[4] نفسه، ج01، ص292.

[5] الزركلي: المرجع السابق ،ج3، ص52.

[6] ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 352.

[7] ابن حجر، المصدر السابق، ج04، ص93.

هذا الكلام أن نشاط المالكية وغيرهم قبل هذه السنة إنما هو إمامة الناس في الصلوات الخمس، أو التدريس فقط[1].

-الجامع المظفري بسفح قاسيون في مدينة دمشق، وهو معروف بالحنابلة الذين أنشؤوه، إلا أننا عثرنا على نشاط لأحد المالكية به تمثل في صلاة الجنازة، حيث قام قاضي المالكية سنة 799هـ/1396م بصلاة الجنازة فيه على قاضي القضاة الحنفي الشيخ نجم الدين أبي العباس أحمد بن إسماعيل الأذرعي، ثم صلى عليه القاضي الشافعي.

- جامع كفر بطنا[2]، تولى الخطابة به شمس الدين الذهبي الشافعي(ت748هـ/1347م)، ثم تنازل عن الخطابة بهذا الجامع لأحد علماء المالكية، وهو الشيخ جمال الدين المسلاتي (ت771هـ/1369م) ، وبقيت إمامةالناس في الصلوات في ولدالذهبي، ونستنتج من هذا الكلام أن هذا الجامع لا يختص بمذهب واحد.

3 - المساجد في مدينة القدس: وبذكر هذه المدينة يتبادر إلى ذهن كل قارئ أو سامع المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}** [الإسراء:1].

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:" "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد , المسجد الحرام , ومسجدي هذا , والمسجد الأقصى"[3].

[1] رمضاني فوزي: المرجع السابق، ص 68.

[2] كفر بطنا: قرية من قرى غوطة دمشق، ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م، ج05، ص375.

[3] أخرجه البخارى (299/1) ومسلم(126/4)

فهذا الجامع أكسب المدينة مكانة دينية كبيرة في قلوب المسلمين مشرقا ومغربا إلى يومنا هذا، فكان عامل جذب إليها، حيث استقر الكثير من المسلمين خاصة الأندلسيين والمغاربة الذين مثلت فئة منهم المذهب المالكي فيها، وكان نشاط المالكية واضحا في هذا المسجد، إذ نجد جامعا خاصام احتضن هذا النشاطعرف بجامع المغاربة، تقام به صلاة المالكية.

مسجد مدينة الخليل: بأرض فلسطين، وهي مشهورة بالمسجد الإبراهيمي، وكان به محراب للمالكية، جرى ترميمه على عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق (ت 801هـ/)[1] ، ومن علماء المالكية الذين نشطوا بهذا المسجد في مجال الإمامة، هو علي بن محمد بن احمد بن محمد بن أحمد الأزدي الخليلي[2].

فالجوامع كانت تعج بالنشاط الثقافي، فقد كانت معاهد علمية، شارك فيه العلماء من المذاهب الأربعة، فكانتتعقد لهم الحلقات، سواء للإقراء، أو التدريس، أو الفتوى، ومن ثم ترسيخ هذه المذاهب ، وإيجاد مكان له فيِ خضم التنوع المذهبي الذي طغى في دولة المماليك اللذين شجعوا –ومِن قبلهم أسلافهم الأيوبيين– المذاهب السنية من أجل القضاء على المذهب الشيعي.

ثانيا: المدارس:

ظهرت المدارس[3]عند المسلمين في المشرق الإسلامي، خلال الربع الأخير من القرن 4هـ/10م ، ثم كثرت في القرن 5هـ/11م وما بعده ،كمدارس الوزير السلجوقي نظام الملك(ت485 هـ/1092م) المعروفة بالنظاميات[4].

[1] الظَّاهِر بَرْقوق (738-801هـ/1338-1398م) برقوق بن أنص-أو أنس- العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة، الزركلي :**الاعلام** ، ج2، ص 48 .

[2] ابن حجر:**الدرر الكامنة**، ج4، ص118.

[3] بمعناها الحديث، أي أنها في بنايات مستقلة، وفيها كل المرافق الضرورية.

[4] د. خالد كبير:**الحركة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي**، مذكرة تخرج دكتوراه، جامعة الجزائر، ص 198.

وكان من الفروض ان نخصص هذا المبحث للمدارس المشتركة بين الحنفية والمالكية الا اننا لم نعثر على ذلك وهذاما أشار اليه الباحث خالد كبير في خضم الحديث عن المدارس الثنائية المشتركة بين المذاهب السنية بقوله:"ولم أعثر للحنفية و المالكية إلا على مدرسة مشتركة واحدة فقط ، بناها لهم الأمير سيف الدين منكوتمر بالقاهرة في سنة 698هـ/1298م"[1]، الا ان ذلك لا ينفي وجود مدارس مشتركة بين المذاهب الأربعة ، ولذلك سنورد بعض المدارس منها ما هو مشترك بين المذاهب ومنها ما هو مخصص للمذهب المالكي او الحنفي ، ومن بينها :

1- المدرسة النورية: بناها السلطان نور الدين محمود زنكي (ت569هـ/1273م)، المدرسة مشتركة بين الشافعية وغيرهم من المشتغلين بالعلم من أهل السنة، فمن المؤكد أن المالكية والحنفية من ضمن هؤلاء، ومن الحنفي الذين درسوا بهاعبيد الله بن محمّد بن عبد العزيز السمرقندى الحنفي(ت 710هـ)[2]،

ومن علماء المالكية الشيخ محب الدين الفرضي (ت803هـ/1400م)، كانت له وظيفة التدريس بهذه المدرسة، حيث يتنقل إليها من دمشق، مقابل راتب مخصص له منها.

2- المدرسة الخاتونية الجوانية: أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر (ت 581هـ/1186م)[3] زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي والناصر صلاح الدين من بعده تنسب إليها وجعلتها وقف على الحنفية، ومن بين من تولى مشيختها أحمد بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم المراغي ثمّ الدّمشقي الحنفيّ المعروف بابن الشهاب الرّومي (ت 742هـ)[4]وجمال الدّين بن سراج الدّين الحنفيّ أبو المحاسن المعروف بابن السراج (ت 770هـ)[5].

3- دار الحديث البهائية: مختصة بعلم الحديث، أنشأها القاضي بهاء الدين بن شداد

---

[1] نفسه، ص 244.

[2] ابن حجر، المصدر السابق ،ج3، ص242.

[3]عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت 927هـ): **الدارس في تاريخ المدارس**، تح:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية ط1 ،1410هـ/1990م ،ج1، ص 388.

[4] ابن حجر، نفسه، ج1، ص114.

[5] نفسه، ج6،ص80.

(ت632هـ/1234م)في حلب، تولى مشيختها أحد علماء المالكية الراسخين في العلم، وهو الشيخ محي الدين محمد بن محمد بن إبراهيم الشاطبي (ت662هـ/1263م)، وكان من الأئمة المشهورين بغزارة العلم، مع التواضع، وما اجتمع العلم والتواضع في شخص إلا رفعه الله تعالى وأعلى مقامه .

4- المدرسة الظاهرية شرقي الخاتونية بناها الملك الظاهري غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين الايوبي(ت 613 هـ)[1] ومن اهم علماء الحنفية الذين درسوا بها القاضي شمس الدّين بن صفي الدّين الحريري الحنفيّ (ت 728هـ)[2] و عليّ بن محمّد بن الحسن الخلاطي الحنفيّ علم الدّين الملقب بالقادوس (ت 708هـ)[3].

5- المدرسة الصلاحية: في حلب، بانيها نور الدين محمود بن زنكي الشهيد ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين (ت745هـ/1344م)، تم وقفها على المذاهب الأربعة.

6- المدرسة السيفية: وهي مدرسة مشتركة بين المالكية والحنابلة، أنشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر (ت622هـ/1225م)[4].

7- المدرسة المقدميةبحلب : أنشأها عز الدين عبد الملك بن المقدم، وهو من أمراء صلاح الدين الأيوبي، وكانت في الأصل كنيسة ثم صارت مدرسة وذكرها ابن شداد من جملة مدارس الحنفية[5]، ومع ذلك فقد شاركهم بعض المالكية في نشاطها العلمي.

8- المدرسة الشرابيشية : هي إحدى مدارس المالكية بدمشق، أنشأها التاجر شهاب الدين بن نور الدولة بن محاسن الشرابيشي سنة 734هـ/1333م ،داخل باب الجابية في دمشق، الشيخ برهان

[1] النعيمي ،المصدر السابق ، ج1 ،ص 257

[2] ابن حجر، المصدر السابق ، ج5، ص 290.

[3] نفسه، ج4، ص120.

[4] ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (ت 684هـ):**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**،تح:يحي عبارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق،1928،ج01، ق 01، ص286.

[5] ابن شداد، المصدر السابق ،ج1 ،ق1 ، ص276.

الدين إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي (ت796هـ/1393م)، وكان رجلا فاضلا يلقي دروسا حسنة[1].

10- المدرسة الصلاحية: وسميت باسم مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولا ندري متى بنيت بالضبط، وهي بالقرب من البيمارستان النوري، وبعض المؤرخين يسموها بالنورية، وهي من مدارس المالكية في دمشق[2]. وتولى تدريس المذهب المالكي بها مجموعة من العلماء.

11- المدرسة المالكية ببيت المقدس: عمرها الحاج ملك الجوكندار، وكان بناؤها سنة 741هـ/1340م زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (620-689هـ/1223-1290م)[3]، وذكرها محمد كرد علي باسم المدرسة المالكية.ومن العلماء المالكية الذين نشطوا بها وتولوا التدريس وإفادة طلبة العلم، ومن هؤلاء نذكر الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي الغرناطي (ت746هـ/1345م)[4]. وكذلك تولى التدريس بها قاضي القضاة المالكي، جمال الدين أبو محمد عبدالله الهلالي الأنصاري، المشهور بابن الشحاذة (ت805هـ/1402م).

ومما سبق يتبين لنا مما ذكرناه عن المدارس، سواء التي اختص بها المالكية أو الحنفية او التي اشتركوا فيها مع غيرهم من المذاهب الأخرى، شهدت نشاطا علميا متنوعا من إقراء وفقه وحديث، وغير ذلك، وهم درسوا فيها خدمة لمذهبهم، وقد دأب منشئو المدارس و واقفوها على اختيار أشهر العلماء واستقدامهم للتدريس في مدارسهم، كما كان طلبة العلم يرتحلون ويقصدون العالم المشهور، إذ هو الذييعلي من قيمة وشأن المدرسة.

[1] ابن حجر، المصدر السابق، ج1، ص31.

[2] النعيمي، المصدر السابق، ج02، ص08.

[3] الزركلي ، المرجع السابق ،ج5 ، ص 203.

[4] ابن حجر، المصدر السابق، ج5 ،ص 343.

ثالثا : المكتبات:

تمثل المكتبات بتاريخها الطويل، أحد الركائز الأساسية في دراسة الجانب العلمي والثقافي من مسيرة الشعوب. كونها المستقر النهائي لنتاج الحركة العلمية، والمقصد الأقوى للاستفادة من هذا النِتاج، فهي مرآة تعكس الوجه الحضاري لأية أمة.

1- مكتبات المدارس في بلاد الشام :

1-1 مكتبة المدرسة الظاهرية بحلب :بناها صاحب حلب الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي للعلامة أبي الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي (المتوفى 1215/611م) [1]. وفي مكتبة هذه المدرسة أوقف الملك المحسن (المتوفى 634هـ/1236م) أخو الملك الظاهر مكتبته القيمة. وقد أورد ابن خلكان فيما يخص هذه المدرسة ومكتبتها عبارةً هامةً إذ قال: " وبتلك المدرسة بيوت كتب على باب كل بيت ما يليق به" [2].

1-2 مكتبة المدرسة العادلية الكبرى بدمشق: عندما فرغ البناء منها نقلت إليها كتب قطب الدين النيسابوري (المتوفى 578هـ/1182م)، بعد أن كان وقفها على طلاب العلم [3]. ففي شوال من سنة (665هـ/1267م) رأى ابن خلكان في خزانة المدرسة العادلية كتاب {التقريب} للقاسم بن أبي بكر القفال الشاشي (المتوفى 400هـ/1010م)، وهو عبارة عن عشرة مجلدات بقي منها ست فقط.

و من العلماء الذين أوقفوا كتبهم على خزانة هذه المدرسة، المؤرخ والنحوي شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي، المشهور بأبي شامة (المتوفى 665هـ/1267م) [4].

1-3 مكتبة المدرسة الشبلية البرانية بدمشق قبل (621هـ/1224م):

---

[1] شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) :**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح :إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثّقافة، بيروت- لبنان، ط2،1401هـ/1980م. ج 3، ص 347.

[2] نفسه،ج 3 ، ص 347.

3 النعيمي ، المرجع السابق ،ج 1 ، 273.

[4] الزركلي ، المرجع السابق ،ج 3 ، 300.

ومن الكتب التي أوقفها على مكتبة المدرسة هذه كتاب {حلية الأولياء} لأبي نعيم الأصفهاني.إذ تحتفظ مكتبة الأسد اليوم بالجزء الحادي عشر من هذا الكتاب، وقد جاء عليه العبارة التالية " وقفه العبد الفقير إلى رحمة الله كافور بن عبد الله الحر الحسامي على جميع طوائف المسلمين، وجعل مستقرة بمدرسته التي أنشأها بجبل قاسيون... وجعل شرطه على ما يقتضيه كتاب وقف الكتب وذلك ثالث وعشرين ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وستمائة " [1]

2- مكتبات العامة في بلاد الشام :

أ. مكتبات الجامع الأموي بدمشق

أيام الأيوبيين عاشت دمشق نهضة مع سائر مدن الشام نهضةً علميةً وأدبيةً قلّ نظيرها، وامتدت الى خلفائهم من المماليك. وعُدَّ جامعها الأموي أحد أكبر منابر هذه النهضة. فكان أشبه بجامعة كبيرة تقام فيها المحاضرات والمناظرات في عدة زوايا مفردة لهذا الغرض، وتعتبر من مرافق الطلبة. يباشرون فيها الدراسة، والنساخة، والمذاكرة بعيداً عن ازدحام الناس، وامتد ذلك الى خلفائهم من المماليك.

ولعل أقوى المكتبات التي أوقفت على الجامع. مكتبة ياقوت (المتوفى 623هـ/1226م)، فتى تاج الدين الكندي زيد بن الحسن (المتوفى 613هـ/1216م).

ووُجد في حلقة الحنابلة من الجامع خزانتين مجتمعتين، كان يصلي إليهما الشيخ العماد الحنبلي ابراهيم بن عبد الواحد (المتوفى 614هـ/1217م) .

وتمت عملية تجميع لمكتبات الجامع الأموي في مشهد ابن عروة، أيام الملك المعظم عيسى (ت656هـ/1258م)، باقتراح من قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران؛ فنقلت المكتبات من الكلاسة، والزاوية الغربية، وأروقة الجامع، ومن حلقة الحنابلة إلى المشهد.

ب.مكتبات دُور الحديث في بلاد الشام:

- مكتبة دار الحديث النورية بدمشق: كان نور الدين من الملوك المهتمين بتحصيل الكتب واقتنائها، سواء عن طريق الشراء وبذل كل نفيس مقابلها، أو عن طريق الاستنساخ. إضافة للرغبة

[1] الأصفهاني أبو نعيم ، **حلية الأولياء** ، ج 11 ، (مخطوطة مكتبة الأسد : المتصوفة : م ش / م / 4364).

العارمة في إتاحة هذه الكنوز لطلبة العلم وتعميم الفائدة منها؛ لذا وقفها عليهم في أماكن تعليمهم، ومن بين هذه الأماكن دار الحديث التي بناها بدمشق.

كما أوقف ابن الجوهري المحدِّث، (المتوفى 643هـ/1245م) [1]، والذي أنفق شبابه رحَّالةً في طلب العلم، وسهر وكتب الكثير واقتنى ما لم يقتنيه غيره. ثم وقفها جميعها بالنورية[2] .

- **مكتبة دار الحديث الأشرفية بدمشق:**

خصص لها خزانةً كما رأى تاج الدين السبكي في خزانة هذه الدار كتاب "مناقب الشافعي" لإسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن القراب أبو محمد (ت414هـ/1023م) [3]. ولما شرح سبط ابن الجوزي كتاب { روح العارفين } فرح به الملك الأشرف كثيراً بعد أن امتحن فيه الملك العلماء، وعجزوا عن شرح حديث واحد منه، وأوقفت النسخة بدار الحديث الأشرفية. أيضاً من الكتب الموقوفة بخزانة هذه الدار كتابي{ شرح السنة } و{ معالم التنزيل } لمحمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن الحسين بن بهرام (ت622هـ/1225م)[4]. ومن العلماء الواقفين على مكتبة هذه الدار الشيخ تقي الدين أبو عمر الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت 643هـ/1245م) الذي جمع برحلاته العلمية أنواعاً من العلوم بلغت مجلداتٍ كثيرةٍ أوقفها جميعها بدار الحديث الأشرفية بدمشق [5].

ت. **مكتبات الخانقاوات في بلاد الشام :**

وأشهر هذه الخانقاوات في بلاد الشام، الخانقاه السميساطية بدمشق ، الذي تمتع بخزانةٍ عامرةٍ من كتب الأوقاف. ولعل أول من وقف كتباً فيه محمد بن عبد الله البندهي (المتوفى 584هـ/1188م)،

---

[1] الزركلي :المرجع السابق، ج 1 ، ص 254.

[2] الذهبي :**تاريخ الإسلام**، ج 49 ، ص 213- 214.

[3] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ): **طبقات الشافعية الكبرى**،د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو،هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ،1413هـ،ج 4 ، ص 266 – 267.

[4] الذهبي :المصدر السابق، ج 45 ،ص 132.

[5] الزركلي: المرجع السابق، ج4 ، ص 207.

والذي حصّل كتباً جليلةً خلال ترحاله، إضافة للمجموعة القيِّمة التي اقتناها من خزانة وقف الجامع الأموي بحلب [1].

3- **مكتبات خاصة في بلاد الشام: مكتبات خاصة في بلاد الشام:** لا يخلو بيت عالم من مكتبة، ولو اقتصرت على مؤلفاته فقط.ومن المالكية الذين كان لهم شغف كبير بالكتب وجمعها، نذكر منهم المحدث الفاضل أثير الدين الأنفي، محمد بن علي بن الحسين الدمشقي، المولود سنة 713هـ/1313م [2]،قال عنه الصفدي:"طلب الحديث، وقرأ، ونسخ كثيرا من الأجزاء والكتب...ونسخ جملة من تواليفي"، فعمل النساخة بالتأكيد من وسائل تحصيل الكتب،وتكوين المكتبات[3].

وأيضا الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد بن قاضي الجماعة (ت718هـ/1318م) ،وهو إمام المالكية بالجامع الأموي، قال عنه الصفديفي كتابه اعين العصر :"كتب بخطه المليح الصحيح المغربي عدة كتب، وأتى وهي أضوأ من الشهب...وملكت أنا بخطه الظريف..."

وكذلك صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم (764هـ/1362م) ذكر المقريزي بأنه خلف عدداكبيرا من الكتب،حيث بيعت جميعها بمبلغ مائة ألف درهم.

ومنه نخلص الى ان بلاد الشام عرفتمعظم أنواع المكتبات المعروفة بالعصر الوسيط، من مكتبات خاصة ومدرسية، وجوامع، ودور حديث، وخانقاوات، أما عن دور المكتبة المدرسية بالعملية التعليمة، فقد تمثل بتأمين الكتب لطلاب العلم في الوقت الذي كانت فيه هذه الكتب عزيزة المنال لغلاء أسعارها.

[1] ياقوت الحموي ، المصدر الاسابق ، ج 1 ، ص 498.

[2] ابن حجر ، المصدر السابق، ج5 ،ص 315.

[3] رمضاني فوزي ، المرجع السابق ، ص 109.

ثالثا : الاربطة والزوايا والخانقانات والترب المالكية والحنفي في بلاد الشام القرن 8هـ/14م

أولا: الربط:جمع رباط، وهو مأوى، يلجأ إليه العلماء، والرحالون، وطلاب العلم[1].وكان العلماء يتخذون من الرباطات أماكن للمطالعة من ناحية، والكتابة من ناحية أخرى، وهم يشتغلون فيها بالعلم، ويؤلفون الكتب، وبخاصة في مجال التصوف.

وقد عرفت بلاد الشام عدداً من الربط خلا فترة الدراسة وهي:

1- **الرباط التكريتي** : في دمشق بالقرب من الرباط الناصري، بناها التاجر الكبير وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي[2].

2- **رباط ستيتة زوجة تنكز** :في دمشق بنته الخاتونستيتةزوجة تنكز نائب الشام الشهير ،عند باب المدرسة النورية[3].

3- **الرباط المنصوري**: قرب باب الناظر قبلي الطريق الموصلة إلى الحرم القدسي في القدس ، أنشأه الملك المنصور قلاوون في سنة 681هـ./ 1282م ، ووقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس[4].

ثانيا:الخانقاوات:

ومفردها خانقاه، وتجمع على خوانق وخوانك، وهي كلمة فارسية الأصل معناها:البيت، وقيل أصلها خونقاه، أي الموقع الذي يأكل فيه الملك وهي مركزاً للصوفية وعابري السبيل[5]، ويعود الفضل الأول في إنشائها الى السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر، كانت تؤدى فيها الصلوات، وتقام فيها الأوراد والأذكار ، وكان يعقد فيها دروسا في الفقه والدين والعربيةالتصوف والحديث، وكانت

[1] المقريزي، **الخطط**، ج2، ص427.

[2] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص150.

[3] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ): **البداية والنهاية**، دار الفكر،1407هـ/1986م،ج14،ص151.

[4] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص162.

[5] المقريزي ،**السلوك** ، ج1 ، ص416.

تشتمل على خزائن للكتب والمصاحف القرآنية، وبعض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب من المأكل والمشرب، والأدوية، والاحتياجات الأخرى[1].

ومن بين الخانقانات في بلاد الشام نذكر :

1.الخانقاه الصلاحية: بناها صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ/1187م، مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطا للصلحاء الصوفية، ووقف عليهما أوقافا حسنة، والخانقاه الصلاحية هي أقدم خوانق القدس، كانت تقع غربي الحرم القدسي. ولأهمية هذه الخانقاه العريقة حرص سلاطين المماليك ،على ان يتحكموا بتعيين من يروه مناسبا لرئاستها والتعليم فيها[2]. وولي تلك الخانقاه العديد من علماء الشام، وكان منهم الشيخ غانم بن علي بن حسين الأنصاري المقدسي، وله فيها زاوية معمورة أقام بها عشرين سنة ، وأقام فيها الملك الناصر صلاح الدين الشيخ غانم المذكور وولاه مشيخة الخانقاه الصلاحية، وهو أول من وليها، توفي في دمشق سنة633هـ ./1234م[3].

2. **الخانقاه المجاهدية:**منسوبة لمجاهد الدين إبراهيم أخي زين الدين أحمد أمير خازندار الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل افتتحها 656هـ/ 1254م وجعلها للصوفية وقرر فيه عشرين صوفيا وتوفي في نفس السنة.

3. **الخانقاه الكججانية:** بنيت في دمشق، وبناها الأمير مجاهد الدين الكججاني في سنة 785هـ/1383م[4].

ثالثا: الزوايا:

[1]المقريزي ،**السلوك** ، ج1 ، ص416.

[2]أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت821هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،دار الكتب العلمية، **بيروت**،ج12 ، ص105-106.

[3]النعيمي ،المصدر السابق ، ج2 ، ص153.

[4]نفسه، ج2، ص136.

هي كلمة عربية تعني الركن من الدار أو المكان عامة، وهي جمع زاوية، أطلقت على المكان الذي يأوي اليه الكثير من المتصوفة والمنقطعين من الزهاد والعباد، وهي شبيهة أيضا بالرباط و"الخانقاه"، إلا أنها أصغر، وهي أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة، في شكل دور، أو مساجد صغيرة، يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين ، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر ، وقد تكون الزاوية في ناحية من نواحي المساجد الكبرى[1].

ووجدت في أغلب مدن الشام كدمشق وبيت المقدس وحلب ، زوايا عديدة نذكر منها:

1- زوايا دمشق:

الزاوية الدهستانية: عند سوق الخيل بدمشق. بناها الشيخ إبراهيم الدهستاني ، توفي سنة 720هـ /1320م[2].

الزاوية السيوفية: بناها في دمشق نجم الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي توفي سنة 710هـ/1310م وأوقف الملك الناصر عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين قريتي عين الفيجة ودير مقرن بوادي بردى الثلث للزاوية والثلثان للذرية وبنى له ولجماعته بيوتا حولها[3].

الزاوية الغسولية: بناها في دمشق شيخ الفقراء أبو عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي توفي سنة 737هـ/1336م[4].

2- **زوايا مدينة القدس: الزاوية الشيخونية:** عند سويقة باب حطة، واقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن علي بن محمد، من رجال حلقة دمشق ،كان مجاورا بالقدس الشريف وجعل نظرها لنفسه ، ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف[1].

---

[1] المقريزي،**السلوك**، ج1،ص182.

[2] نفسه ، ج2، ص156

[3] نفسه ، ج2، ص158.

[4] نفسه ، ج2، ص160

الزاوية المهمازية: تقع على مقربة من السور الشمالي للحرم القدسي، بالقرب من المعظمية من جهة الغرب منسوبة للشيخ كمال الدين المهمازي، ووقفت على مربع من الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في شهر ذي القعدة سنة 745هـ ./ 1354م، وبها قبر رجل من ذريته اسمه الشيخ خير الدين خضر المهمازي[2].

زاوية المغاربة: بأعلى حارة المغاربة وقف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد، وكان رجلا صالحا عمر الزاوية وأنشأها من ماله [3].

3- **زوايا مدينة الخليل:** نذكر منها زاوية علي البكا وكان صاحبها الشيخ علي البكا مشهورا بالصلاح والعبادة، وإطعام من يجتاز به من المارة والزوار، وكان الملك المنصور قلاوون يثني عليه، توفي سنة 670هـ/1271م[4].

رابعا: الترب:من بين الترب وهي كثيرة في بلاد الشام:

التربة الأيدمرية: هي تربة الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلبي الصالحيتوفي سنة667هـ/1268م كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ثم عند الملك الظاهر بيبرس كان يستنيبه إذا غاب[5].

- **التربة البدرية:** الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري توفي سنة 716هـ/1316م[6].
- **التربة البهائية:** بناها محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي شهاب الدين أبو الثناء توفي سنة 725هـ ./1324م[1].

---

[1]أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)،**إنباء الغمر بأبناء العمر**، تح :د حسن حبشي،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،1389هـ/ 1969م،ج1،ص9.

[2]عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (ت 928هـ) ،**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تح:عدنان يونس عبد المجيد نباتة،مكتبة دنديس– عمان،ج2،ص42.

[3]نفسه ،ج2،ص45.

[4]ابن كثير، المصدر السابق،ج13، ص293.

[5] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص 176.

[6]نفسه، ج2، ص182.

- رسم بياني يوضح نسبة العلماء المالكي والحنابلة في بلاد الشام في القرن 8هـ/14م

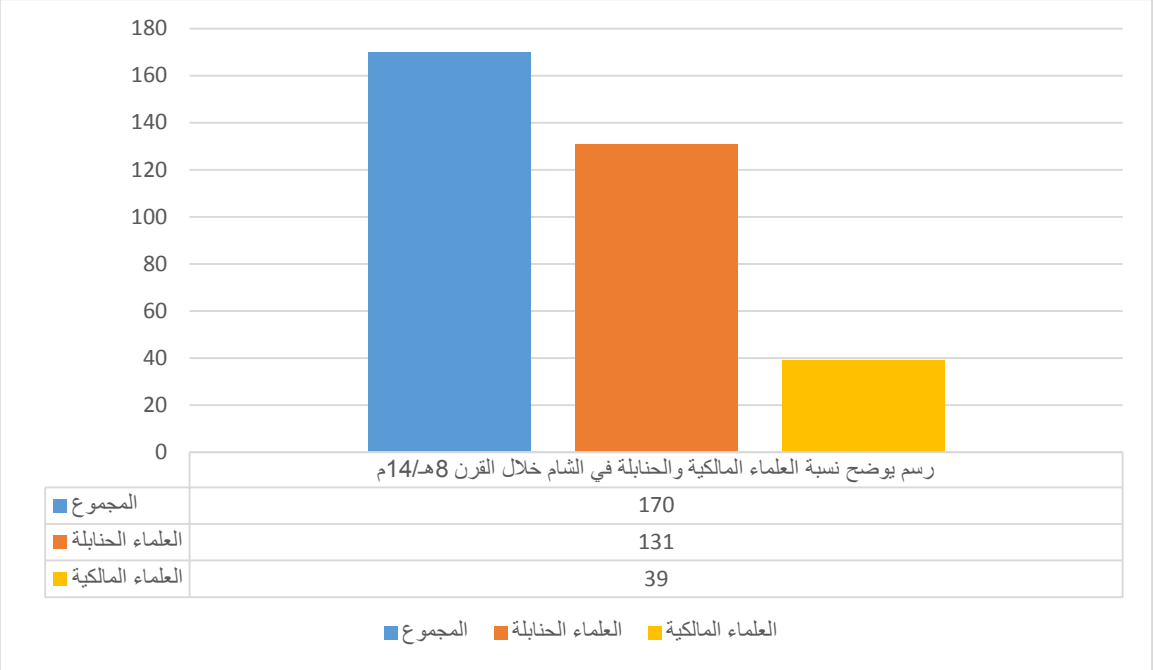

-

[1] نفسه ،ج2،ص184. ابن حجر،**انباء الغمر**،ج7،ص250.

خلاصة

وكخلاصة للفصل الأول ومن خلال العمل الاحصائي الذي قمنا به نجد ان هنالك تباين في انتشار المذهبين الحنفي والمالكي في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي من خلال كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، حيث اننا احصينا 131 عالما من علماء الحنفية في حين ان علماء المالكية بلغ عددهم 39 عالما ، الا انه من الملاحظ ان كلا المذهبين حضي بمكانة في الدولة ، وهذا ما انعكس على المؤسسات العلمية التي أنشأت على أساس مذهبية سواء المدارس او المساجد او الزوايا والأربطة والخانقاوات وغيرها ،كما أن هناك تباين في عدد هذ المؤسسات بالنسبة لكل مذهب ، كما ان لم يكن مؤسسات مشتركة ثنائية بين المذهبين في مجال المدارس وهذا ما أشار اليه الباحث خالد كبير كما ذكرنا سالفا.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

المذهبان الشافعي والحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني

المبحث الأول: المذهب الشافعي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني.

المبحث الثاني: المذهب الحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني.

المبحث الثالث: المؤسسات العلمية الشافعية والحنبلية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

الفصل الثاني: المذهبان الشافعي والحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م:

أما في هذا الفصل فسنبرز أهم العلماء من المذهبين الشافعي والحنبلي والذين ترجم لهم الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة كما سنتطرق إلى المؤسسات العلمية المشتركة بين المذهبين.

المبحث الأول: المذهب الشافعي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة:

يعد المذهب الشافعي من الذاهب الفقهية الأربعة التي انتشرت انتشارا واسعا في البلاد الإسلامية وينسب إلى مؤسسه محمد بن ادريس الشافعي المولود بغزة سنة 150هـ والمتوفي بمصر سنة204 هـ ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهور المذهب الشافعي كان أولا في مصر ، لأن الشافعي أقام بها في آخر حياته[1]

وفيما يخص دخول المذهب الشافعي بلاد الشام لم نجد من تلاميذ الإمام من نشر مذهبه على غرار ما حدث في مصر والعراق فالمصادر التاريخية تذكر أن الغالب على أهل الشام مذهب الاوزاعي ، حتى ولي قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي الشافعي (ت302هـ) ،فأدخل إليها المذهب الشافعي وحكم به ، ونشره ومن تبعه من بعده من القضاة[2] .

وذكر المقدسي في احسن التقاسيم : ان الفقهاء بإقليم الشام في زمنه –ا ي في القرن 4هـ– كانوا شافعية وقال : " ولانرى به مالكيا ولا داوديا "[3] ولما آل الحكم إلى الأيوبيين قوي المذهب الشافعي وجعل له السلطان الأكبر في الدولة ،مع سلطانه في الشعب ، وكان الأيوبيون كلهم شافعية واسند

[1] محمد ابو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية**،ص449.

[2] احمد تيمور باشا ،المرجع السابق، ص74.

[3] نفسه، ص 75.

صلاح الدين قضاء دمشق إلى الفقيه الشافعي شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون (ت585هـ/ 1189م)سنة 73هـ/1177م[1]وكان صلاح الدين كلما فتح بلداً يولّي عليه قاضياً من أتباع المذهب الشافعي، وآخر من عيّن من القضاة قبل موته، هو القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الشافعي. الذي عيّنه قاضياً على مدينة القدس وكان ذلك في سنة (588هـ/ 1192م)إلى أن مات وهو على القضاء سنة (632هـ/1236م)[2] وسار على نهج الأيوبيين المماليك من بعدهم ، وقد أحصينا من خلال دراستنا لكتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،أن علماء الشافعية الذين ظهروا خلال هذه القترة الزمنية في بلاد الشام قد بلغوا واحدا واربيعين ومائة عالما أو قاضيا أو فقيها ساهموا بشكل كبير في الحفاظ مذبهم في ظل مزاحمة المذاهب السنية الأخرى له ومن هؤلاء العلماء الذين ترجم لهم ابن حجر في الدرر نذكر :

1 عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصرتاج الدين ابن تقي الدين ولد سنة 727 هـ وأجاز له ابن الشحنة ويونس الدبوسي وقرأ بنفسه على المزي ولازم الذهبي وكان جيد البديهة طلق اللسان أذن له ابن النقيب بالإفتاء والتدريس ودرس في غالب مدارس دمشق وناب عن أبيه في الحكم ثم استقل به باختيار أبيه وولي دار الحديث الأشرفية في سنة 754هـ وولي خطابة الجامع وانتهت إليه رياسة القضاء بالشام ومات في سابع ذي الحجة سنة 771 هـ[3]

2 علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام ابن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي ولد بسبك العبيد أول يوم من صفر سنة 683 هـ وولي قضاء دمشق في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة 739 هـ بهمة وصرامة وعفة وديانة وأضيفت إليه الخطابة بالجامع الأموي فباشرها مدة في سنة 742هـ ثم أعيد إلى أن مات في ثالث جمادى الآخرة سنة 756هـ[4]

[1]شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ):سير أعلام النبلاء، دار الحديث-القاهرة، 1427هـ-2006م، ج21، ص126.

[2]نفسه، ج 21،ص386-387.

[3] ابن حجر، المصدر السابق، ج3،ص232-233-.

[4]نفسه، ج 4،ص74.

3 احمد بن عليّ بن عبد الكافِي بن عليّ بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عُثْمَان بن عَليّ بن نشوان بن سوار بن سليم السّبكيّ أبو حامد بهاء الدّين ومولده في آخر تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة 719 هـ وسمع على الشَّيخ تقيّ الدّين ابن الصَّائِغ عدة قراءات وتفقه على الْمجد الزنكلوني ولما ولي أبوه قضاء الشّام فوض إِلَيْهِ التدريس بالمنصورية ثمَّ بالشيخونية وولي قضاء الشّام عوضا عن أَخِيه فِي سنة 763هـ وكان من رجال العلم وكان ومات في السّابع عشر من شهر رجب سنة 773هـ .[1]

4 أحمد بن عمر بن محمّد بن أبي الرضي شهاب الدّين أبو الحسين الحمويّ الأصْل الشَّافعي نزيل حلب تفقه ببلده على شرف الدّين بن خطيب القلعة وبدمشق على التّاج السُّبكيّ وغيره ومهر وتقدم ودرس ثمّ قدم حلب على قضاء العسكر ثمّ ولي قضاءها استقلالا ثلاث مرّات وكان فاضلا عالما كثير الاستحضار عافًا بالقراءات مستخفيا فَلَمَّا كَانَت فتنة الناصري أعدم بطريق حماة وذلك في مستهل ذي القعدة سنة 791 هـ[2]

5 الحسن بن رمضان بن حسن القرمي حسام الدّين اليافعي ولد فِي سنة 680هـ وتفقه على مذهب الشّافعي واختصر المحرر وولي قضاء صفد مدّة وكان فقيرا ثمّ تمول ونقل إلى قضاء طرابلس وله بها حمام مليح عجيب البناء مشهورة ثمّ عزل وأقام بدمشق وولي تدريس الرِّبَاط الناصري وعكف على الإشتغال وسماع الحديث وكان حسن الفهم جيد الذِّهْن أثنى عليه أبو الحسن ابن أيبك وقال ابن حبيب كان ذا مهابة وَحرمة وثروة وهو مولى بهادر محدث طرابلس ومات في طرابلس في ربيع الأول سنة746 هـ[3]

6 سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء الياسوفي صدر الدين الشافعي ولد سنة 739هـ تقريبا ونقله أبوه إلى مدرسة أبي عمر بالصالحية فقرأ بها القرآن وحفظ التنبيه ومختصر ابن الحاجب وأقبل

[1] ابن حجر، نفسه،ج1،ص47.
[2] نفسه ،ج1،ص268.
[3] نفسه ،ج2،ص117.

على التفقه وأخذ عن العماد الحسباني والموجودين من أعلام الشافعية وكان ذكيا فقيه النفس كثير المروءة محبوبا للناس معينا للطلبة خصوصا أهل الحديث وشارك في فنون الحديث وخرج تخاريج مفيدة مات معتقلا بقلعة دمشق في ثالث عشر شعبان سنة 789 هـ .[1]

7 سليمان بن سالم بن عبد النَّاصر بن محمَّد الغزى الشَّافعي علم الدّين ولد في حدود التسعين وستمائة وسمع من التقى سليمان والمطعم وعلي ابْن محمَّد بن هارون الثَّعْلبي وزينب بنت شكر وست الوزراء وغيرهم وحفظ المنهاج وطلب الحديث ثمَّ مهر في العلم وأفتى ودرس وولي قضاء غزَّة ثمَّ الخليل ذكره الذَّهبيّ فِي المعجم المختص وقال سمع معى من بعض الشّيوخ وتفقه وناظر وتلا بالسبع انتهى ومات بالخليل في شوَّال سنة 674 هـ[2]

8 محمَّد بن خلف بن كامِل بن عَطاء الله الشَّيخ شمس الدّين الغزّي ثمَّ الدِّمشقي الفقيه الشَّافعي ولد سنة 716 هـ بغزة ثمَّ قدم دمشق وَسمع من أبي الْحسن البندنيجيّ وشمس الدّين ابن النَّقيب واشتغل وتميز وبرع فِي الفقه وأفتى ودرس وجمع وألف كتاب ميدان الفرسان وناب في الحكم عن القاضي تاج الدّين السُّبكِيّ وقام معه في محنته قياما عظيما وحاقق عنه وغضب منه البلقينِيّ فانتزع منهُ الناصرية ثمَّ استعادها الغزى بمرسوم سلطاني ولما عاد تاج الدّين استنابه وعظمه [3]

9 محمد بن يحي بن احمد ، شمس الدين ابن زهرة ، ولد سنة 758هـ/1357م انتقل الى دمشق ومنها الى طرابلس الشام وصار شيخها وعالمها توفي سنة848هـ/1444م ، من كتبه" فتح المنان" وشوح كثيرة في الفقه ، و"إعراب الألفية في النحو "

[1] ابن حجر، نفسه،ج2، ص311-312.

[2] نفسه،ج2،ص40.

[3] نفسه ،ج5، ص173.

10 شرف الدين ابو العباس المعروف بابن الفركاح احمد بن ابراهيم بن سباع بن ضياء الشافعي ولد سنة 630هـ خطيب دمشق ، ولي مشيخة اقراء الناصرية ثم ولي خطابة جامع جراح وكان أحسن أهل زمانه قراءة للحديث ،توفي بدار الخطابة سنة 705هـ/1305م[1]

وقد ظهر لنا من خلال ما وأرده ابن الحجر في كتاب الدرر أن المذهب الشافعي انتشر بشكل واسع في جميع أنحاء بلاد الشام خلال القرن 8هـ على اعتبار أن له السبق في دخول هذه البلاد بعد المذهب الاوزاعي وساهمت السلطة السياسية سواء الأيوبيون أو المماليك من بعدهم في دعم هذا المذهب على حساب المذاهب السنية الأخرى لان معظم حكامهم على المذهب الشافعي والناس على دين حكامهم وتظهر سيطرة هذا المذهب من خلال سيطرته على القضاء فقاضي القضاة شافعي ويضاف إلى هذا أن خطيب الجامع الأموي يوم الجمعة أيضا يشترط أن يكون شافعيا غير انه وفي نهاية القرن 8هـ بدأ يعرف نوعا من التراجع بسبب نشاط المذاهب السنية الأخرى ومنافستها له

المبحث الثاني : المذهب الحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة:

قبل التطرق الى المذهب الحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م لابد ان نعرج على بداية ظهوره وكيفية انتشاره في بلاد الشام قبل هذه الفترة، ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام احمد بن حنبل الشيباني المولود ببغداد سنة 164هـ/780م والمتوفي بها سنة 241هـ/855م ، ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين.[2]

وكان منشؤه ببغداد ثم شاع في غيرها[3] وقد دخل بلاد الشام في أواسط القرن 5هـ واخذ يزدهر شيئا فشيئا حتى قوي وازدهر في دمشق وما حولها و صارت منذ أواسط القرن السادس معقلا وريثا لبغداد في حمل راية المذهب والعناية به ، وإثرائه ولم نجد من تلاميذ الإمام احمد بن حنبل من نشر مذهبه في

[1] ابن حجر، نفسه، ج1،ص101.

[2] احمد تيمور باشا ، المرجع السابق ،ص81.

[3] نفسه ،ص81.

بلاد الشام إلا من جاء من بعدهم من الطبقات الأخرى ممن شد الرحال إلى بغداد لطلب العلم و نذكر منهم :

1 أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري ، الشيرازي الأصل ،الحراني المولد الدمشقي ، المقر الفقيه الحنبلي الواعظ ، وكان يعرف في العراق بالمقدسي ،من كبار أئمة الإسلام وارتحل إلى بغداد فلازم ، القاضي ابا يعلى بن الفراء ، وتفقه به ، ودرس ووعظ ، وبث مذهب احمد باعمال بيت المقدس، وكانت له كرامات ظاهرة ، ووقعات مع الاشاعرة ، وظهر عليهم بالحجة في مجلس السلاطين بالشام، توفي في ذي الحجة سنة 486هـ [1]

2 عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ، تفقه وأفتى وناظر، وكان إماما ، فاضلا ، مناظرا ،مستقلا ، مفتيا على مذهب الإمام احمد ، وكان يعرف اللسان العربي والفارسي حسن الحديث في الجد والهزل، توفي فجأة يوم الأربعاء رابع صفر 546هـ.

3 موفق الدين عبد الله بن قدامى المقدسي (541- 620هـ) كان من المهاجرين مع البيه وإخوته من جماعيل إلى دمشق ،تعلم الفقه والزهد من الشيخ عبد القادر الجيلي ، ثم عن أبي الفتح ابن المني ، فتعلم منه فقه المذهب ، والفقه المقارن ، وأصول الفقه حتى برع في تلك الفنون ،وكان دائبا في جمع الطلاب وتعليم التلاميذ وتخرج على يده ابن اخيه شمس الدين عبد الرحمان بن ابي عمر قاضي القضاة في زمانه ومن أشهر مؤلفاته كتاب المغني

4 الفقيه أبو العباس احمد بن عبد الواحد المعروف بالبخاري(ت623 هـ/1226م)،سافر لتحصيل العلم إلى بغداد و واسط ، وهمذان و بلاد فارس ، و نيسابور و توقف بمدينة بخارى مدة ، ثم رجع إلى دمشق و عرف بها بالبخاري.[2]

5 الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي(643هـ/1245م) دامت رحلته في طلب العلم خمس سنوات ،دخل خلالها مصر و بغداد ، و همذان و اصبهان ، و هراه و مرو ، و سمع

[1] الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج19،ص51-53.

[2] نفسه، ج23،ص127.

الحديث الكثير من كبار محدثي عصره كابن الجوزي ، و أبي طاهر بن المعطوش البغدادي(ت599هـ/1202 م)، وعبد الوهاب بن سكينة(ت607هـ/1210م)،فجمع علما غزيرا ، و أصبح حجة في علم الحديث رواية و دراية[1]

وقد أحصينا من خلال دراستنا لكتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، فقد أحصينا ان علماء الحنابلة الذين ظهروا خلال هذه الفترة الزمنية في بلاد الشام قد بلغوا واحدا وثمانين عالما أو قاضيا أو فقيها ساهموا بشكل كبير في الحفاظ على استمرار مذهبهم ومن هؤلاء نذكر منهم :

1 أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين ابن مجد الدين ولد في عاشر ربيع الأول سنة 661هـ وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود وحصل الأجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول وقع في محنة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة 728هـ .[2]

2 محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين ولد في حدود سنة عشر وقال الذهبي سنة بضع وسبعمائة وقيل سنة 712 هـ وسمع من عيسى المطعم وجماعة واشتغل في الفقه وبرع فيه إلى الغاية وصاهر القاضي جمال الدين المرداوي وناب عنه في الحكم وصنف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ومات في رجب سنة 763هـ[3]

3 إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي الشيخ عماد الدين ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ومات أبوه سنة 703هـ ونشأ هو بدمشق وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وابن الرضي وطائفة وأجاز له من مصر الدبوسي والواني والختني

[1] الذهبي، نفسه ،ج23 ، ص 127 -128.

[2] ابن حجر ، المصدر السابق،ج1،ص168 .

[3] نفسه،ج6، ص14.

وغيرهم واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية وله تصانيف مفيدة مات في شعبان سنة 774 هـ .[1]

4 محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد في ثالث ربيع الآخر سنة 673 رحل إلى القاهرة وأخذ عن الأبرقوهى والدمياطى وابن الصواف والغرفى وغيرهم وخرج لنسفه ثلاثين بلدانية ومهر في فن الحديث وجمع تاريخ الإسلام فأربى فيه على من تقدم بتحرير أخبار المحدثين واختصر منه مختصرات كثيرة منها العبر وسير النبلاء وملخص التاريخ وطبقات الحفاظ وطبقات القراء ومات في ليلة الثالث من ذي القعدة سنة 748هـ[2]

5 الشيخ ابن القيم الجوزية شمس الدين بن محمد بن ابي بكر الدمشقي ، العالم الفاضل المحقق ،كان من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ،امتحن هو وشيخه ،مرات عديدة فسر الفاتحة الشريفة وصنف " التبيان في أحكام القرآن " توفي سنة 751هـ/1352م[3].

6 أبو الفتح محمد بن موسى الموصلي الحنبلي المقرئ نزيل دمشق كان عارفا بالقراءات توفي سنة 710هـ/1310م.

7 شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الوالي بن جبارة المقدسي الحنبلي ولد سنة 647هـ/1249م ارتحل إلى مصر ثم دمشق وحلب ودرس بهما القراءات ثم عاد إلى بيت المقدس توفي بها سنة 728هـ/1327م.[4]

8 المحدثة العالمة المقدسية أسماء بنت محمد بن الكمال عبد الرحيم ،سمعت من الشيخ عبد الدائم توفيت سنة 723هـ/1323م[5]

---

[1]ابن حجر، نفسه ،ج1، ص145-146.

[2]نفسه، ج5، ص66.

[3]نفسه، ج5،ص137.

[4]نفسه ،ج1،ص259-260.

[5]نفسه، ج1،ص361

رغم قوة رجال الفقه الحنبلي إلا أن انتشاره لم يكن متناسبا مع هذه القوة واتساع الاستنباط فيه،فقد كان أتباع المذهب من العامة قليلين،[1] فلم يسلم أهل بلاد الشام لهذا المذهب يظهر ذلك في قول ابن فرحون في "الديباج" :" وأما مذهب احمد بن حنبل رحمه الله فظهر ببغداد ، ثم انتشر بكثير من بلاد الشام ، وضعف الآن " يعني القرن الثامن [2] ويبدو ان هذا الضعف الذي أشار إليه ابن فرحون ،كان يتخلل تاريخ المذهب الحنبلي ببلاد الشام عبر الأزمان لعدم وجود سلطة سياسية تتبناه.[3]

المبحث الثالث : المؤسسات العلمية في بلاد الشام الشافعية والحنبلية في القرن 8هـ من خلال كتاب الدرر:

شجع الإسلام إعمال العلم والتعلم كثيرا واقبل الناس في عصور مختلفة على طلب العلم كهوية وسبيل من سبل التعبير ، وليس سبيلا من سبل كسب الرزق والمعيشة ، وحدث في كثير من الحالات أن تعين بعض العلماء في وظائف الدولة أو حصلوا على الهبات والأعطيات نتيجة تأليف كتاب أو عمل فكري ما ، وظل الإقبال على العلم هواية فترة طويلة ، وكانت المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات الدينية مراكز رفيعة المستوى للعلم والتدريس .

أولا :المساجد :

تعد المساجد أهم مؤسسة علمية، جمعت بين عبادة الصلاة و مهمة التعليم طوال التاريخ الإسلامي، وقد كان لكثير منها-خلال القرن8هـ/14م صبغة مذهبية تميزها عن غيرها من المساجد . وقد اختص الحنابلة والشافعية في بلاد الشام-كباقي الطوائف الأخرى- بمساجد نسبت إليهم، في المدن التيبكثرون فيها ومن أبرزها،مسجد للحنابلة في مدينة دمشق ، هو مسجد أبي صالح بظاهر

[1] محمد ابو زهرة ، **تاريخ المذاهب الاسلامية** ، ص505.

[2] احمد تيمور باشا ، المرجع السابق ،ص81.

[3] محمد ابو زهرة ، **تاريخ المذاهب الاسلامية** ، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت.ط ، ص505.

باب شرقي من المدينة[1] ،وفي الصالحية لهم جامع الحنابلة ، شرع في بنائه الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي(ت607هـ/1210م) سنة 598هـ/1201م ، على نفقة رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي ، فلما بلغ المسجد قدر قدم نفد المال ، فلما سمه به ملك ارب أبو المظفر سعيد كوكبوري (ت630هـ/1232م) أرسل ثلاثة ألاف دينار لإتمامه ، وشراء بما تبقى من المال أوقاف له، ثم بعث مرة أخرى ألف دينار ليساق إليه الماء من قرية مردا المجاورة له، فمنع ذلك ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل(ت624 هـ/1227م)، بحجة أن في طريقه قبورا كثيرة للمسلمين [2]كما توجد في مدينة حران ذات الأغلبية الحنبلية جوامع كثيرة منها جامع الفقيه ناصح الدين بن أبي الفهم الحراني الحنبلي(ت634هـ/1236م) ، و جامع حران ، [3]أما الشافعية فقد كانت لهم أيضا مساجدهم غير ان ذالك لم يمنع من وجود جوامع مشتركة بين هذه المذاهب ونذكر منها:

المسجد الأقصى الذي وصفه ابن حوقل بقوله :" وببيت المقدس مسجد ليس في الإسلام مسجد اكبر منه "[4] ،وكان فيه للحنابلة منذ زمن ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل(ت624 هـ/1227م) ، عندما طلب منه الحافظ عز الدين بن عبد الغني المقدسي(ت613 هـ/1216م) ، أن يجعل للحنابلة محرابا في القدس الشريف ، فأعطاهم مهد عيسى-عليه السلام- ليتخذوه مقاما لهم .وكان إمامهم فيه أخر الأئمة صلاة، و أولهم المالكي ، ثم الشافعي،ثم الحنفي. [5]

ويضاف إلى المسجد الأقصى الجامع الأموي الذي ذكره المقدسي في وصفه لجامع الرملة بقوله :" ليس في الإسلام أبهى من جامعها ، وارشق من جامع دمشق – يقصد الجامع الأموي – ويسمى المسجد الأبيض ، ليس في الإسلام اكبر من محرابه ، ولا بعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره ، وله

[1]النعيمي ، المصدر السابق ، ج2 ص102. .

[2]خالد كبير ، **الحركة العلمية** ،ص 187.

[3]نفسه ، ص193.

[4]ابي القاسم محمد بن علي بن حوقل ، **صورة الارض** ،دار مكتبة الحياة ، 1992، ص117.

[5] خالد كبير ، **الحركة العلمية** ،ص193.

منارة بهية "[1] وأشير في هذا المقام إلى أنه كانت به أربعة محاريب ، حسب الطوائف السنية الأربعة ؛ إذ لكل منها محرابها الذي تصلي فيه .

وقد أوصلها إلى هذه الوضعية الغريبة المنكرة سببان رئيسيان ، أولهما غلبة التعصب المذهبي على علماء ذلك العصر ،و تضخيمهم للخلافات الفقهية على حساب أخوتهم و وحدتهم ، حتى أن كثيرا من فقهاء الحنفية أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي ؛ و في المقابل لم يجز بعض الشافعية اقتداء الشافعي بالحنفي في الصلاة، و الثاني أن من كان في يدهم الأمر من الخلفاء و السلاطين و الأمراء ،لم يقوما بواجبهم الشرعي لجمع شمل المسلمين ،بل الكثير منهم شجع التعصب المذهبي ، و نصر طائفة معينة على طوائف أخرى؛و كان في مقدورهم –بالتعاون مع العلماء– توحيد الأمة في الصلاة و خارجها ، والناس سيتبعونهم لأنهم على دين ملوكهم وعلمائهم [2]

ونشير هنا أننا في بحثنا هذا لم نجد مساجد ثنائية لمذهبين كما أننا لم نعثر على ما يشير إلى أن طائفة من السنيين منعت غيرها من دخول مساجدها . لكنه وجد فيهم–أي من السنيين–من امتنع من الصلاة مع غير إمامه و أصحابه، كما هو الحال في، المسجد الأقصى، أو الجامع الأموي، إذ كان لكل طائفة محرابها و إمامها ،و هذا كله ثمرة مرة للتعصب المذهبي الذميم المسيطر على العقول أولا ؛و نتيجة لعجز وتخاذل أولي الأمر و العلماء ، من القيام بواجباتهم الشرعية تجاه أمتهم ثانيا

ثانيا: الكتاتيب :

عرفت في اغلب المصادر التاريخية بالمكتب ،وأكثر من يلتحق به كانوا من الأيتام ، وكان هدف هذه الكتاتيب ينحصر في المقام الأول في تربية الأطفال على الفضائل ، وتعليم القرآن وحفظه إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والخط والإملاء وبعض الشعر وأصول الحساب ، وكانت الكتاتيب تؤهل

[1] ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي: **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، مكتبة مدبولي،ط3،1411هـ/1991،القاهرة ،ص117.

[2] خالد كبير علال ، المرجع السابق،ص185.

الأطفال لدخول المدارس .[1] وكان إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري المعروف بابن الخباز الدمشقي الحنبلي المؤدب، يؤدب الأطفال في مكتب له " وكان شيخا سهلا متواضعا دمث الأخلاق سليم الباطن يفيد الطلبة ويعيرهم الأجزاء بسهولة إلى أن مات في صفر سنة 703هـ/1303م[2] كما أوقف الطواشي ظهير الدين مختار ، مكتبا للأيتام في باب قلعة دمشق " ورتب لهم الكسوة و الجامكية وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم "[3] وفي جوار المدرسة الجقمقية بدمشق أقام الملك الناصر حسن في حوالي سنة 761هـ/1359 ممكتبا للأيتام [4]

وشارك الأعيان والتجار كعبد الرحيم بن احمد بن عبد الرحيم الحلبي التاجر المعروف بابن الترجمان بحلب (ت786هـ/1384م) شارك في بناء مكتب للأيتام بالقرب من المدرسة الشرفية وقف عليه وقفا جيدا ، وكان دينا خيرا عليه سكون [5]

ثالثا: المدارس:

لم تظهر المدارس عند المسلمين إلا بعد أربعة قرون ، وارتبط وجودها في بلاد الشام بوجود المذاهب الفقهية الأربعة حيث حرص الأيوبيون والمماليك على إنشائها ، لمحاربة ذيول التشيع ، واحياء المذاهب السنية الأربعة فكانت اغلب المدارس تدرس المذاهب الاربعة ، ومنها من تخصص في تدريس مذهب معين أو مذهبان أو أكثر[6] ومن تعد المدارس الشافعية الأكثر انتشارا نذكر من أهمها:

[1]النعيمي ، المصدر السابق ،ج1،ص8-ص169.
[2]ابن حجر المصدر السابق، ج1،ص121.
[3]النعيمي ،المصدر السابق ،ج2،ص221.
[4]نفسه ،ج1،ص375.
[5]ابن حجر المصدر السابق،ج1،ص306.
[6]العليمي ، المصدر السابق،ج1،ص34.

1- المدرسة الأسعردية

نسبة إلى بانيها برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي في دمشق، وكانت في "غاية الحسن ورتب بها وظائف كثيرة وانتفع الناس بها، وعمل بها تربة ورتب بها فقراء ومقرئة يقرؤون القرآن وهي من أحسن عمائر دمشق وهي غير المدرسة الأسعردية في القدس وتقع فوق الرواق الشمالي للحرم، غرب المدرسة الملكية، وقد بنيت ووقفت سنة (760هـ . /1358م) من قبل التاجر مجد الدين الأسعردي.

2-المدرسة الصلاحية:

وكانت المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في بيت المقدس سنة 583هـ/1187م ، أهم مؤسسة تعليمية دينية، وقد استمرت في أداء دورها المهم في تخريج العلماء والفقهاء في العهد المملوكي، وقد تنوعت الموضوعات العلمية التي كان العلماء يدرسونها بالمدرسة الصلاحية ، فقد تباينت تلك الموضوعات، بين العلوم الشرعية عامة، والفقه خاصة، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الرياضية، والتاريخ، والمنطق، وعلم الكلام[1]

3- المدرسة الحلبية

بنيت في دمشق وممن توفي فيها شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق، وكان ملازما للصلاة ووقف إلى جانب المدرسة الحلبية مسجدا وأضافه إلى المدرسة المذكورة ووقف عليها وقفا، ووقف ثلث حانوت يبيع الزيت وثلث على زوجته والثلث الثالث على ابن أخيه ووقف على قراءة البخاري ومآل ذلك إلى حانوت الزيت ، توفي سنة 815هـ ./1416م "وكان شيخا دينا جدا"[2]

[1] العليمي، المصدر السابق، ج2، ص179، 183

[2] نفسه، ج1ص324-325

4- المدرسة الأصفهانية بالقرب من درب الشعارين في دمشق، بناها رجل تاجر من أصفهان: ودرس بها خطيب دمشق جمال الدين أبو محمد عبد الكافي الربعي الدمشقي المفتي، ناب القضاء مدة "وكان دينا حسن الصورة فيه صفات مفيدة كثيرة[1] ووجدت في بلاد الشام مدارس اخرى خاصة بالمذهب الحنبلي من أهمها :

1- المدرسة الصدرية: وتقع في درب الريحان بالقرب من الجامع الأموي بدمشق، و هي في الأصل دار لصدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجا (ت657هـ /1258م)، ثم حولها إلى مدرسة و وقفها على الحنابلة درس فيها من بني المنجا الفقيه زين الدين المنجا بن أسعد (ت695هـ /1295م)، ووجيه الدين محمد بن عثمان[2].

2- المدرسة الجوزية:

بسوق القمح ، قرب الجامع الأموي ، بناها الفقيه محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي(ت656هـ /1258م)، بالأموال التي جمعها من الملوك في سفرياته إليهم من الخليفة العباسي المستعصم بالله (640-656هـ /1242-1258م) ،ووقفها على الحنابلة سنة652هـ /1254م و كلف صاحبه الفقيه عبد الرحمن بن رزين الحوراني ثم الدمشقي بتولي أمر بنائها، فلما اكتملت في عام 656هـ / 1258م جاء إلى بغداد ليرفع إليه حسابها، فلما وصلها وجد المغول قد دخلوها، فقتلوه مع صاحبه محي الدين يوسف[3] ومن مدرسيها الفقيه نجم الدين احمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت689هـ /1290م)، و الفقيه شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن احمد المقدسي (ت 697هـ /.

[1] العليمي، نفسه، ج1، ص118

[2] الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ،ج 23، ص،375.

[3] النعيمي ، المصدر السابق، ج2، ص29.

1297م)، والفقيه عز الدين بن تقي الدين سليمان، و عقد فيها مجلسا للقضاء نيابة عن والده في 697هـ/1297م[1].

3- المدرسة المنجائية:

تقع بداخل الجامع الأموي، أنشأها الفقيه زين الدين أبو البركات المنجا بن القاضي عز الدين عثمان الدمشقي(ت695هـ ./ 1295م)، و هو أول من درس بها[2]

كما تظهر فيها المدارس المشتركة بين المذاهب الأربعة خلال القرن 8هـ/14م، و لعل أول مدرسة رباعية عرفتها دمشق هي المدرسة العمرية التي كانت حنبلية ، ثم حولت لتشمل السنيين كلهم في سنة84 غير أنه يمكن اعتبار الجامع الأموي مؤسسة تعليمية كبرى مشتركة بين السنيين ، يضم أربعة مقامات و محاريب للصلاة ،و ثماني مدارس منها ثلاث للحنفية ،و واحدة لكل من الحنابلة و المالكية ، و الباقي للشافعية كله للشافعية على ما يبدو[3] .و فيه كذلك دار للحديث ،و خزائن كتب ،و عشر حلقات للفقه ،و أخرى لتلقين القران الكريم التي قد يصل عدد طلابها إلى 420 نفرا [4]. ذلك أن الجامع الأموي قريب الشبه بالمدرستين المستنصرية و الصالحية، من حيث أنه جمع المذاهب الأربعة في بناية واحدة مع تعدد مدارسها، لكنه يختلف عنهما في أن مهمته الأساسية هي الصلاة أولا، لأنه مسجد بالدرجة الأولى ، أما هما فوظيفتهما الرئيسية التعليم أولا، لأنهما مدرستان .و هو أكثر نشاطا و تنوعا منهما ،كأنه جامعة متعددة المذاهب ،والمدارس، و التخصصات العلمية، و كثيرة الأوقاف و الجرايات[5].

يضاف لها المدرسة النورية في بعلبك، ويروى انه في روي أنه في سنة 664 هـ/ 1265م ظهر كتاب وقف المدرسة النورية ببعلبك، وفيه أنه يحق للحنفية و الحنابلة و المالكية أن يشاركوا الشافعية فيها؛

---

[1] النعيمي ، نفسه، ج2، ص33-44.

[2] نفسه،ج2، ص121.

[3] نفسه، ج 2 ،ص 412 . .

[4] نفسه، ج 1 ،82...

[5] خالد كبير علال ، **الحركة العلمية** ،ص243 .

وكان بنو عصرون[1] الشافعيون المشرفون على المدرسة و أوقافها هم الذين أخفوه منذ تأسيسها، فلما شاع أمره جددت كتابته و أخذت منه نسخة كتبت عليها فتاوى العلماء،ومراسيم نواب السلطنة، فالتحق بالمدرسة من أراد الاشتغال بالعلم، من الحنابلة و الحنفية و المالكية [2].

وأما المدارس الثنائية بين الحنابلة والشافعية ، فلم نعثر لهما على واحدة في حين وجدنا مدارس ثنائية كثيرة بين الطوائف السنية الأخرى ، نذكر منها الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي، والأسدية للملك المظفر أسد الدين شيركوه وهيشافعية، والمنجائية لابن منجا حنبلية، والقوصية حنفية، والسفينية حنفية، المقصورة الكبيرة حنفية، والزاوية المالكية، والشيخية لابن شيخ الإسلام [3]السبب الرئيسي في قلة المدارس هو الخلاف المذهبي في مسائل الصفات و غيرها من قضايا أصول الدين ، لأن الحنابلة في هذه المسائل غالبيتهم على مذهب أهل الحديث ،و والآخرون معظمهم على المذهب الأشعري ، فكان ذلك سببا في تباعد الطرفين و تنازعهم.

كما أن كل مدارسهم المشتركة أسسها غيرهم من الخلفاء و السلاطين و الأمراء ؛ ولم يشارك علماؤهم في إنشائها ، فغيرهم بناها و هم درسوا فيها خدمة لمذهبهم واولا.

رابعا: دور القرآن الشافعية والحنبلية في بلاد الشام.

أسهمت دور القرآن والحديث في نشر العلم وانطبعت بمذهب أصحابها و واقفيها ومن ذلك نذكر:

1-دار القران الوجيهية:

بناها التاجر وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا (ت 701هـ ./1301م)الحنبلي ،و جعل فيها حجرات كثيرة، و وقف عليها بعض أملاكه [4]

---

[1] هم أولاد قاضي القضاة شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي(ت585 هـ/1189م) . النعيمي : المصدر السابق، ج 1، ص 399 .

[2] النعيمي، نفسه، ج1، ص401.

[3] نفسه، ج2، ص61 وما بعدها .

[4] نفسه،ج 2،ص،17.

2-دار الحديث البهائية:

داخل باب توما في دمشق، وقفها بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر توفي في سنة 723هـ ،، وولي تدريسها نجم الدين بن فهد أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الله الأذرعي الدمشقي ثم الحلبي الشافعي، وولي مشيختها الشريف شمس الدين أبو المحاسن ويقال أبو عبد الله الحسيني الدمشقي [1]

3-دار الحديث الدوادارية:

قال ابن كثير: "وفيها وقف الأمير علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج دار حديث وولي مشيخته الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود الشيخ الإمام المفتي المحدث علاء الدين أبو الحسن بن الموفق العطار ابن الطبيب الشافعي ، وممن درس بهذا المكان الشيخ الفقيه نور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن قوام البالسي الأصيل الدمشقي المعروف بابن قوام

4-دار الحديث السامرية:

أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن عليبن جعفر البغدادي السامري نسبه إلى مدينة سر من رأى في العراق، توفي سنة696هـ ./1296م، وممن ولي مشيختها شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن قوام الشافعي توفي 825هـ/1442م.[2]

خامسا:الرباطات والخانقاة والزوايا والترب الشافعية والمالكية في بلاد الشام :

1-الرباط المنصوري:

قرب باب الناظر قبلي الطريق الموصلة إلى الحرم القدسي في الق دس ، أنشأه الملك المنصور قلاوون في سنة 681هـ ./ 1282م ، ووقفه على الفقراء القادمين إلى بيت المقدس [1] الخانقوات كان لها بالغ الاثر في الحركة الفكرية والعلمية و نذكر:

النعيمي، [1]نفسه،ج1، ص43-45 .

[2]ابن كثير ، المصدر السابق، ،ج14، ص45.

2-الخانقاه الصلاحية:

بناها صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ ./1187م، مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية، ووقف عليهما أوقافا حسنة، والخانقاه الصلاحية هي أقدم خوان ق القدس، كانت تقع غربي الحرم القدسي[2]

3-الخانقاه الشهابية:

داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى وشمالي المعينية واللاقية في دمشق. وقفها أيدكين بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهابي الحنبلي توفي سنة 677هـ ./1272م، وممن ولي مشيختها الشيخ شمس الدين السلسبيلي [3]ضف إلى ذلك الزوايا ومن ابرزها:

4-الزاوية الأدهمية:

وتقع خارج السور الشمالي للقدس بين بابي الساهرة والعمود، داخل مغارة الكتان وهي للفقراء الأدهمية، وهم المتصوفة من أتباع الزاهد إبراهيم بن أدهم، وقد عمر هذه الزاوية الأمير منجك نائب الشام ووقف عليها هو وغيره من أهل الخير وفيها قبور جماعة من الصالحين[4]

5-الزاوية الجراحية:

كانت تقع في حي الشيخ جراح بظاهر بيت المقدس من جهة الشمال ، سميت بالجراحية نسبة لواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي ، أحد أمراء الملك الناصر صلاح الدين ، وقد توفي في سنة 598هـ /1201م ، ودفن في زاويت[5]

6-التربة البلبانية:

---

[1] العليمي، المصدر السابق: ج2 ، ص91 ، 157.

[2]نفسه،ج2 ،ص142، ص157.

[3] نفسه، ج2، 126.

[4] نفسه،ج2،ص164.

[5]نفسه، ج2 ، ص100-101.

وهي تربة اتخذها الأمير سيف الدين طرناه بلبان توفي سنة 734هـ./1333م إلى جانب داره ووقف عليها مقرئين وبنى عنده مسجدا بإمام ومؤذن[1]

سادسا: المكتبات الشافعية والحنبلية في بلاد الشام

تعد المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الدينية ،الثقافية التي يفخر بها الإسلام ،والتي كان لها دور كبير في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين وغيرهم ، ووجدت في اغلب المؤسسات الدينية زمن المماليك في المساجد والمدارس ،والتي لم تخلو من وجود خزانة للكتب [2]،وقد صنفت إلى مكتبات عامة وأخرى خاصة ومن التى اشتهرت عند الحنابلة نذكر:

1-مكتبة المدرسة العمرية

أسسها الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت 607 هـ/1210م) بصالحية دمشق ،وهي أشهر المكتبات الحنبلية دون منازع، كانت في عز أيامها حافلة بالمصنفات نادرة النظير ، بفضل اهتمام الحنابلة بها و وقف كثير من العلماء- على اختلاف مذاهبهم- لكتبهم فيها ؛ منهم الفقيه جمال الدين يوسف بن عبد الهاد ي الدمشقي(ت 909 هـ/1503م) وقف فيها 600 كتاب من مؤلفاته، وقدر مجموع ما فيها بالآلاف ويعتقد الباحث خالد كبير أن كتبها أكثر من ذلك بكثير ،لأن هناك مكتبات لأفراد ضم بعضها عشرين ألف مجلد ،و أخرى فيها مائة ألف فكيف يكون مجموع ما في المكتبة العمرية يتراوح ما بين ثلاثة إلى تسعة ألاف كتاب ،وهي مكتبة مدرسة عريقة استمر نشاطها العلمي أكثر من ثلاثة قرون ، ولها أوقاف جمة ،و وقف كثير من العلماء مصنفاتهم فيها ؟ ! ومع ذلك فهو لا يستطيع تقدير مجموع ما كان فيها من الكتب . و للحنابلة في المشرق الإسلامي خزائن كتب أخرى كثيرة ، في مدارسهم و مساجدهم لكن أخبارها قليلة جدا أو منعدمة

[1] العليمي، نفسه، ج2، ص180 .

[2] النعيمي ، نفس المصدر ،ج2،ص106.

تماما ، منها مكتبتهم في مسجدهم ببعلبك ،و في مقامهم بالجامع الأموي بدمشق .كما وجدت للحنابلة مكتبات خاصة وهي كثيرة فلا يكاد يخلو منها بيت عالم من علمائهم [1]

ومن أبرزها مكتبة بني تيمية الحرانيين ، يبدو أنها كانت عامرة تزخر بنفائس الكتب كما ونوعا ،لأن مالكيها ينتمون إلى أسرة عريقة في العلم، لذلك فإنهم عندما هاجروا إلى دمشق فرارا من المغول ، لم ينسوا كتبهم بل أخذوها معهم في عربة يجرونها بأيديهم، فلما توقفت –في وقت كاد فيه العدو أن يلحق بهم– ابتهلوا إلى الله عز و جل و استغاثوا به ، فنجاهم و دخلوا دمشق بكتبهم سالمين في سنة 667 هـ/1268م [2].

كما وجدت عند الشافعيين الكثير من المكتبات ازداد عددها زمن المماليك امتدادا لما بدأه صلاح الدين عندما فتح القدس فإنه حمل إلى قبة الصخرة وإلى "محراب المسجد الأقصى ، وذكر الحموي طرفا عن خزانة الكتب في الجامع الأموي بدمشق ووصفها بأنها كانت جليلة .

وعرفت كثير من المكتبات الخاصة، والتي حرص كثير من العلماء والشيوخ والفقهاء على تأسيسها، وجمع ما يمكن من الكتب الدينية والعلمية فيها، سواء عن طريق الشراء أو النسخ، بحيث كان العالم منهم يقوم بنسخ بعضا من الكتب بنفسه، أو يؤجر من يقوم بنسخها[3] ومن أمثلة المكتبات الخاصة في بلاد الشام في العهد المملوكي، دار الكتب الفخرية في القدس التي وقفها القاضي فخر الدين بن فضل الله (ت732هـ ./1331م)، وقد بلغ عدد مجلداتها نحو عشرة آلاف

[1] خالد كبير علال ، **الحركة العلمية** ، ص258.

[2] نفسه ،ص260.

[3] عبد الحيين أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي،أبوا لفلاح (المتوفى: 1089هـ): **شذرات الذهب في أخبارمن ذهب**، تح:محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير،دمشق–بيروت، ط1، 1406 هـ/1986 م،ج7، ص205.

مجلد وكان زين الدين أبو حفص عمر بن مسلم بن سعيد القرشي الملحي مدرس دار الحديث الأشرقية في دمشق(ت732هـ./1331م)، قد "ملك من نفائس الكتب شيئا كثيرا" [1]

رسم بياني توضيحي لعدد العلماء من الشافعية والحنبلية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م والذين أو ردهم الحافظ بن حجر في كتابه الموسوم بالدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة.

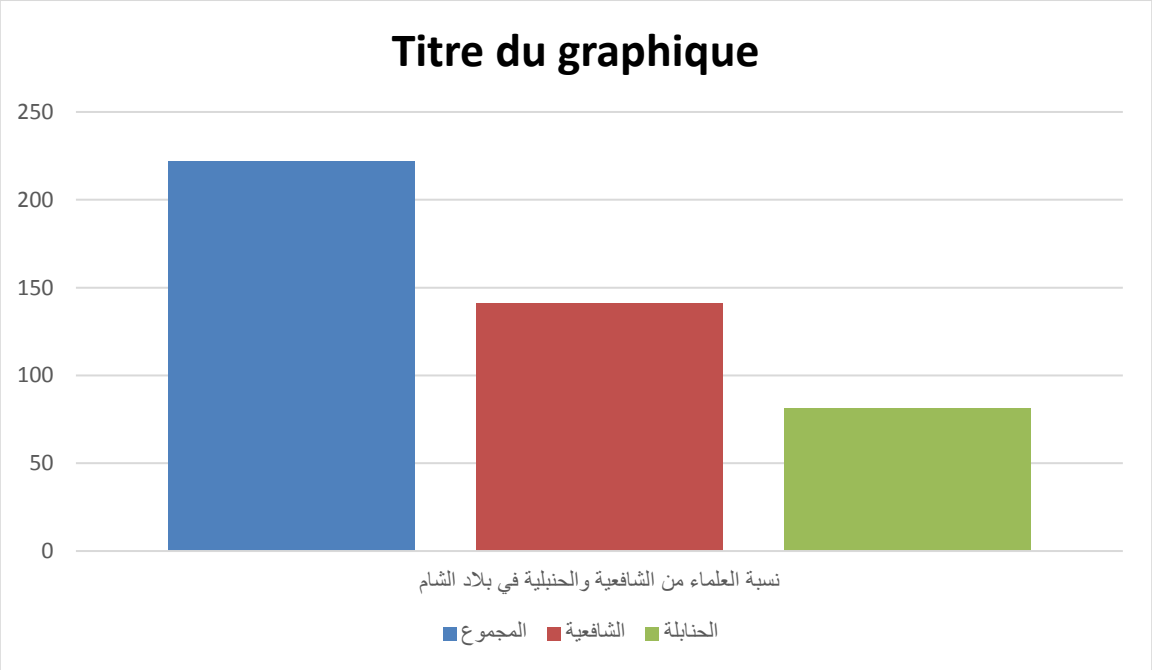

[1] النعيمي، **نفس المصدر**، ج1، ص31.

ومن خلال عرضنا لهذه المؤسسات الدينية العلمية العريقة ،تتبين لنا حالة الحياة العلمية التي شهدتها دولة المماليك خلال القرن 8هـ/14م والتي عرفت ازدهارا كبيرا نتيجة تشجيع حكامها للعلم والعلماء وقد أسهم السلاطين أنفسهم في دعم التأليف وبناء المكتبات في كل مسجد وزاوية ومدرسة بل وفي قصورهم وبيوت امرآءهم وعلمائهم، وتعدى ذلك إلى الأعيان والتجار وعامة الناس، حتى وصل الأمر للتنافس في إقتنائها وشرائها بأغلى الأثمان .

كما تبين لنا أيضا أن هذه المؤسسات اصطبغت بصبغة مذهبية، أدت إلى تكريس التعصب المذهبي وما نتج عنه من أثار سلبية وهذا لا يعني إنها لم تساهم ايجابيا في النهضة الحضارية فقد شجعت العلم وخرجت العلماء وحافظت على استمرار المذاهب السنية ولم نحصها كلها لكثرتها الواضحة لان حصرها يحتاج الى الآلاف من الصفحات فاكتفي بذكر أهما وأشهرها [1]

[1] لمعرفة المزيد انظر الملاحق .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.

المبحث الأول: أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

المبحث الثاني: أثار المذاهب الفقهية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م

المبحث الثالث: أثر الحياة المذهبية على الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.

الفصل الثالث: أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد الشام خلال القرن8هـ/14م

أدى تعدّد مظاهر النّشاط المذهبي في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي إلى تعدّد آثاره على المجتمع في مختلف جوانبه الاجتماعية والعلمية، ويُمكن إبراز ذلك كما يلي:

– المبحث الأول: أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م:

تميّزت دولة المماليك بكثرة الوظائف السّلطانية وتقدّم الشّافعية فيها بشكل عامّ. وبعد تعدّد القُضاة بقيت وظائف أخرى خالصة للشّافعية كما كانت من قبل، قال تاج الدّين السّبكي عن الملك الظّاهرَ بَيْبرس:" ... ولمّا ضمّ القُضاة إلى الشّافعية استثنى للشّافعية الأوقاف وبيت المال والأيتام[1] وجعلهم الأرفعين..". وقالُ مُتعِضا من إشراك غير الشّافعية في القضاء: " ... فكان الرّأي السّديد لمن رأى قواعد البلاد مستمّرة على شيء غير باطل أنُ يُجري النّاس على ما يعهدون ..."[2]، وهذا يعني أنّه يدعو إلى قصر تولّي القضاء وسائر الوظائف المذكورة آنفا على الشّافعية وحدهم.

ومن بين أهم الوظائف نجد:

[1]– وكالة بيت المال، وظيفة عظيمة الشّأن، وموضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بين المال ومشترياته من أراضٍ ودورٍ وغير ذلك. أمّا ناظر الأيتام: فيُشرف على الأموال المخصّصة لهم. (أنظر: القلقشندي، **المصدر السّابق**، ج 4 ، ص 37.)

[2]– تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، **طبقات الشّافعية الكبرى**، تح د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ،1413هـ/ 1992م،ج 8، ص 320، 321.

1. إمامة الجامع الأموي:

لقد بقيت خطابة الجامع ألأموي ثابتة في الّشّافعية واستمرت فيهم خلال القرن الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي؛ والملاحظ أّنّ تعيين خطيب الجامع ألأُموي كان منِ قِبل الّسّلطان نفسه، مما يبين أهمية هذا المنصب[1].

وقد أسندت الخطابة إلى بدر الّدّين ابن جماعة حّتى سنة 700هـ/1300م، حيث خرج إلى الّدّيار المصرية لّمّا وصلت الأخبار بمسير جيوش غازان إلى بلاد الّشّام، ورغم ذلك لمُ يُعزل بل أضيفت إليه مشيخة الّشّيوخ[2] إثر عودته إلى دمشق بعد تراجع غازان عن دخول الّشّام خلال تلك الّسّنة، قال ابن كثير: " ...ولم تجتمع هذه المناصب قبله لغيره ولا بلغنا أّنها اجتمعت إلى أحد من بعده إلى زماننا هذا: القضاء والخطابة ومشيخة الّشّيوخ..."[3] ونشير إلى أّنّ قضاء دمشق قد خرج عنه إلى إمام الّدّين القزويني عام 696هـ/1296م، ثّمّ أعيد إليه عام 699هـ/1299م. وفي سنة 702هـ/1302م اسُتُدعي ابن جماعة لتوّلي قضاء الّشّافعية في مصر، وأسندت خطابة الجامع الأموي إلى زين الّدّين الفارقي، وهو أبو محّمّد عبد الله بن مروان شيخ الّشّافعية، فلّمّا توفي سنة 703هـ/1303مُ وُّلي شرف الّدّين أبو العّباس أحمد بن إبراهيم بن سباع الَفَزاري، وكان خطيبا في أحد مساجد دمشق فُنُقل إلى خطابة الجامع ألأموي، وبقي على ذلك حّتى توفي سنة 705هـ/1305م، فولي ابن أخيه برهان الّدّين أبو إسحاق إبراهيم بن تاج الّدّين الَفَزاري

[1]- ابن كثير، المصدر السابق، ج 7، ص 363، 338.

[2]- وظيفة سلطانية يكون صاحبهاُ مُقّدّما على الّصّوفية.(أنظر: أحمد بن علي القلقشندي، **المصدر الّسّابق**، ج 4، ص 39).

[3]- ابن كثير، المصدر نفسه، ص 399، 397، 373، 368.

(ت729هـ/1328م)، ثمّ ترك المنصب زهدا منه وأسند سنة706هـ/1306م إلى شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الخلاطي[1] المتوّفّ سنة706هـ/1306م. وعّين الأفرم خلالها جلال الدّين القزويني خطيبا، ثمّ استحضر له كتابا من القاهرة بذلك. فنلاحظ أنّ تعيين الخطيب لا ينفرد به النّائب وكان القزويني حينها نائبا عن قاضي القُضاة ابن صرصري، فاستناب هذا الأخير غيره بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحُكم.[2] ونستنتج من هذا أنّ جمع الوظيفتين على رجل واحد أمر سلبي.

و لّما كانت خطابة الجامع الأُموي ثابتة في الشّافعية؛ فإنّنا نجد النّائب قراسُنقر المنصوري[3] قد فشل في إسنادها إلى خطيب حنبلي، ففي ذي القعدة من عام 709هـ/1309م عزل جلال الدّين القزويني و عّين مكانه بدر الدّين أبا عبد الله بن عثمان بن يوسف ابن الحّداد الآمِدي الحنبلي (ت724هـ/1324م)[4]، غير أنّه بعد أربعين يوما فحسب وصل كتابٌ من السّلطان محمّد بن قّلاوون بإعادة القزويني إلى منصبه، وأضيف إليه عام 724هـ/1324م قضاء القُضاة مع ما بيده من المدارس، ولّمّا نُقل إلى قضاء الدّيار المصرية سنة 727هـ/1326مُ وُلي ولده بدر الدّين محمّد، ولّمّا عاد أبوه عام 738هـ/1337م على قضاءُ قُضاة الشّافعية استناب عنه في ذلك؛ فصار بدر الدّين يجمع بين الخطابة و النّيابة في القضاء.

---

[1]- هذه النّسبة إلى خِلاط، وهي مدينة كبرى في أرمينية (أنظر: ياقوت الحَموي، **المصدر السّابق**، ج 2، ص 380).

[2]- ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 515.

[3]- تولّى الأمير قراسُنقر المنصوري – وهو من مماليك المنصور قّلاوون – نيابة دمشق لمحّمد بن قّلاوون في ذي القعدة من سنة 709هـ/1309م حتّى سنة 711هـ/1311م، و كانت وفاته عام 728هـ/1327م. (أنظر: ابن حجر ، **الدّرر الكامنة**، ج 3، ص 246.)

[4] ابن حجر، المصدر السابق ،ج5، ص297.

2. القضاء:

يعتبر القضاء من أهم الوظائف في الدولة وقد أولى المماليك به عناية كبيرة ، ولم يولو إلا من كان من العلماء المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى ، وكان القضاء منوطا بالشافعية زمن الأيوبيين حتى قام الظاهر بيبرسكما جاء في الخطط المقريزية في الكلام عن سلطنته انه ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي، ورغم كل ذلك لم يسلم القضاء من التدخل السياسي في بعض الأحيان، وممّن تولى القضاء في بلاد الشام خلال فترة الدراسة–القرن8هـ/14م– نذكر :

جلال الّدّين القزويني الذي ولي قضاء قضاة الشافعية سنة 724هـ/1324م مع ما بيده من المدارس، ولّمّاُ نُقل إلى قضاء الّدّيار المصرية سنة 727هـ/1326مُ وُلي ولده بدر الّدّين محّمّد ، ولّمّا عاد أبوه عام 738هـ/1337م على قضاءُ قُضاة الّشّافعية استنابه عنه في ذلك؛ فصار بدر الّدّين يجمع بين الخطابة و الّنّيابة في القضاء. ولّما توفي خلفه أخوه تاج الّدّين عبد الّرّحيم إلى أن كانت وفاته سنة 749هـ/1348م.[1] وكانَ عَزل المتوّلين للوظائف الّسّلطانية يستند أحيانا إلى أسباب مذهبية؛ ففيِ محنة ابن تيمية سنة 705هـ/1305م دافع عنه قاضيُ قُضاة الحنفية في دمشق و هو وقتئذ شمس الّدّين ابن الحريري وكتب بخّطه ثلاثة عشر سطرا، منُ جُملتها أّنّه منذ ثلاثمائة سنة مارأى الّنّاس مثله، فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فُعُزلعن القضاء[2].

[1] ابن كثير، المصدر نفسه، ص 589.

[2] ابن حجر ،المصدر السابق، ج 1، ص 148.

و نجد أغلب الذينُ تسند إليهم وظيفة قضاء العساكر[1] شافعية، فمّمن قضاء العساكر بالّشّام كمال الّدّين ابن الشريشي هذه الوظيفة سنة 711هـ/1311م في الّشّام. وخلالسنة 715هـ/1315م نجدها في يد ابن صرصري إلى جانب ماله من وظائف أخرى.

وأضيف قضاء العساكر عام 724هـ/1324م إلى جلال الّدّين القزويني مع كونه قاضيُ قُضاة الّشّافعية وخطيبا لجامع اُ لأُموي ومدّرّس بعض مدارس الّشّافعية.[2] ومن خلال هذا وغيره نلاحظ أّنّ فقهاء الّشّافعية أكثر الأطراف تقّدما عند المماليك.

ومن المالكية من تولى القضاءشرف الدّين أَبُو الْوَلِيد بن بدر الدّين اللَّخْمِيّ الغرناطي الْمَالِكِي (ت771هـ/1369م) ولقضاء الشام سنة 767هـ/1366م. كما تولي علم الدّين بن رَشِيق الْمَالِكِي(ت 720هـ/1320م) عينه بدر الدّين ابْن جمَاعَة لقَضَاء دمشق .

أما من ولي القضاء من الحنفية فنجد عَلَاء الدّين ابْن التركماني الْحَنَفِيّ ولي الْقَضَاء فِي شَوَّال سنة 748هـ/1347م وَاسْتمرّ عَلَاء الدّين فِي الْوَظِيفَة إِلَى أَن مَاتَ فِي الْمحرم سنة 750هـ/1349م، ومن قضاة الحنفية أيضا القَاضِي عمر سراج الدّين الْهِنْدِيّ الْحَنَفِيّ(ت 773هـ/1371م)[3]حيث ولي قَضَاء الْعَسْكَر وناب فِي الْقَضَاء عَن جمال الدّين ابْن التركماني مُدَّة ثمَّ ولي الْقَضَاء اسْتِقْلَالا فِي شعْبَان سنة769هـ/1368م

[1] قضاء العساكر من الوظائف الّسّلطانية خلال عصر المماليك البحرية، و الواجب الأساسي لقاضي العساكر التحّدث في الأحكام بين الجند أثناء الأسفار. (أنظر: القلقشندي، **المصدر الّسّابق**، ج 12، ص 359.)

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 486.

[3] ابن حجر، المصدر السابق ،ج4 ، ص182.

جمال الدّين مَحْمُود الْقَسرِي الْحَنَفِيّ اسند إِلَيْهِ الْقَضَاء وَكَانَ رَئِيسا كَامِلا وفاضلاً جَامعا وَله بسط لِسَان وبنان وَبَيَان (ت 799هـ/1397م).

وبالنسبة للحنابلة الذين ولو القضاء أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن المرداوي الْحَنْبَلِيّ قَاضِي حماة ولي قَضَاء حماة (ت787هـ/1385م) ومنهم أيضا شهَاب الدّين أَبُو الْعَبَّاس الْمَقْدِسِي الْحَنْبَلِيّ قَاضِي حلب ولي سنة(ت 774هـ/1372م) فباشره إِلَى أَن مَاتَ فِي شعْبَان سنة (ت 796هـ/1395م) وَكَانَ عَالما عادلاً دينا خيرا متواضعاً كثير السّكُون مَحْمُود الطَّرِيقَة مشكوراً ،ونجد أيضا شرف الدّين الْمَقْدِسِي الصَّالِحِي الْحَنْبَلِيّ وهوَ أول من ولي قَضَاء الْحَنَابِلَة[1] بحلب سنة 748هـ/1347م وَاسْتمرّ خَمْسا وَعشْرين سنة وَكَانَ صَالحا ورعا منطرح التَّكَلُّف مُعظما للشَّرْع (ت 778هـ/1376م)

وتوّلى قضاء العساكر في دمشق سنة 762هـ/1360م بدر الّدين أبو المعالي محّمّد بن تقّيّ الّدين أبي الفتح المصري (ت771هـ /1369م). وانتقل قضاء العساكر بها إلى قريبه بهاء الّدين أبي حامد أحمد بن تقّيّ الّدين الّسُّبْكي (ت773هـ/1371م)، واجتمعت عليه عّدة وظائف وكان من أبرز الفقهاء تقّدّما عند الأمراء الذينُ يُلّبّون مساعيه في الغالب، وأوصى بوظائفه لأولاده وأولاد أخيه تاج الّدين السُّبْكي، وسعى عند أحد الّنّافذين يسأل منه المساعدة على ذلك[2].

3. بيت المال:

ونشير إلى أّنّ الّشّافعية هم أكثر من توّلى وكالة بيت المال؛ فمّمّن توّلاها منهم في دمشق كمال الّدّين ابن الّزّملكاني سنة 703هـ ./133م، ثّمّ وليها كمال الّدّين ابن الشريشي خلال الّسنة

[1] نفسه، ج 6، ص 144.

[2] ابن حجر ،المصدر السابق، ص 213-215.

نفسها، واستمرّ على ذلك حتّى توفي عام 718هـ/1318م، فاستُخلف بجمال الدّين أبي العبّاس أحمد بن شرف الدّين محمّد الدّمشقي المعروف بابن القلانسي المتوّفى سنة 731هـ/1330م[1]، كما تولّاها كذلك نجم الدّين محمّد بن عمر بن أبي القاسم الدّمشقي الشّافعي المتوّفى سنة 742هـ/1341م. أمّا في صَفَد[2]فممّن أسندت إليه فيها علاء الدّين علي بن عبد الكريم بن طرخان الحَموي المتوّفّ سنة 719هـ/1319م، وعلاء الدّين أبو الحسن علي بن محمّد بن صالح المعروف بابن الرسام الصّفدي الشّافعي (ت 749هـ/1348م). ونذكر من الذين أسندت إليهم في طرابلس بدر الدّين محمّد بن مكّي بن أبي الغنائم الطرابلسي (ت 742هـ/1341م). وفي حلب رشيد بن كامل الرّقي الأصل الحلبي الشّافعي المتوّفّ سنة 711هـ/1311م.[3]

4. كتابة السر:

وتُعتبر كتابة السّر من أبرز الوظائف السّلطانية، قال المقريزي عن مهام كاتب السّر:"...وكان موضوع كتابة السّر...أنّ لمتوّليها المسمّى بكاتب السّر وبصاحب ديوان الإنشاء... قراءة الكتب الواردة على السّلطان و كتابة أجوبتها... و له تسفير الأجوبة والجلوس بين يدي السّلطان في دار العدل لقراءة المظالم، و صار إليه التحدّث في مجلس السّلطان عند عقد المشورة ... ".[4] و غالب من تولّى ذلك شافعية؛ ففي عهد الأشرف خليل بن قلاوون نجد كاتب السّر تاج الدّين أحمد بن

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 468، 415.

[2] صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. (انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص412.)

[3] ابن حجر ،المصدر السابق، ج 2، ص 110.

[4] المقريزي، المصدر السابق، ج 3، ص 96.

شرف الّدين سعيد ابن الأثير الحلبي الشّافعي و لما توفي سنة 691هـ /1292مولي شرف الدّين أبو محمّد عبد الوهّاب بن جمال الدّين فضل الله الُعُمري – يعود نسبه إلى عمر بن الخطاب– القُرشي، فبقي على الوظيفة إلى نهاية عهد الأشرف، ثم عهد العادل كتبغا و المنصور لاجين و كان السلاطين يوقّرونه، واستمرّ على منصبه حتّى سنة 711هـ/1311م، حيثَ وَلى محّمد بن قّلاوون مكانه علاء الدّين علي بن تاج الدّين أحمد ابن الأثير الحلبي ثم المصري الشّافعي (ت730هـ/1329م) إلى أن مرض سنة 729هـ/1328م؛ فأرسل السّلطان إلى دمشق يستدعي محيي الدّين يحي بن فضل الله الُعُمري الّشّافعي (ت738هـ/1337م) . وهو شقيق شرف الّدّين فوّلاه كتابة الّسّر و معه ولده المؤرّخ شهاب الدين أحمد [1]، ثمّ عزلهما فرجعا إلى دمشق، لكّنه ولاهما مرة أخرى سنة732هـ/1331م، حيث كان شهاب الدّينُ معين ا لوالده إلى أن عزله السّلطان سنة 740هـ/1339م، و جعل أخاه علاء الدّين علي (ت769هـ /1367م) مكانه[2].و استمّرّ محيي الدّين بن فضل الله على منزلة كبيرة من السّلطان النّاصر، ثمّ استعفاه من المنصب بفعل تقدّم سنّه، واستأذنه في العودة إلى دمشق قبل فترة قصيرة من وفاته. فاستقلّ عندئذ علاء الدّين بكتابة السّر حتّى وفاة السّلطان سنة 741هـ/1340م، واستمر بعده مدة طويلة حتّى توفي خلال سنة 769هـ/1367م[3].

[1] أحمد بن يحيي بن فضل االله الُعُمري، المتوّفّ سنة 749هـ . /1348م صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
أنظر: ابن حجر ، المصدر السابق ، ج 1، ص 331 – 332.

[2] ابن تغري بردي، المصدر الّسّابق، ج 7، ص 286– 287.

[3] ابن حجر ،المصدر السابق، ج 5، ص 354.

و نلاحظ أنّ السّلاطين يميلون في كثير من الحالات إلى تعيين أبناء المتوّلين للوظائف ففي عام 740هـ/1339م، أمر الملك النّاصر كاتب سره محيي الدّين أنُ يبعد ابنه شهاب الدّين وُ يُقّدّم علاء الدّين، فاعتذر أنّ هذا الأخير قليل حنكة، فقال السّلطان:" أنا ... أعلمه و أدّربه ". ولما توفي علاء الدّين سنة769هـ/1367م عُّين على كتابة السّر ولده بدر الدّين محّمّد (ت 796هـ/1394م).[1]

وكخلاصة لهذا المبحث نلاحظ ان المماليك استعانوا بالعلماء من المذاهب الأربعة في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي في تولي المناصب الإدارية، والاجتماعية والدينية، وكانت وظائفهم ترتبط بجميع شرائح المجتمع، وقد ذكر ابن تغري بردي أن العلماء والفقهاء، أسندت إليهم وظائف ديوانية وكاتب السر في السلطنة وكذلك القضاء ووكالة بيت المالوهي وظائف غاية في السمو والأهمية.

ورغم أن المماليك اعتمدوا المذاهب الفقهية الأربعة،ومن ذلك ما استحدثه الظاهر بيبرس من القضاء وفق المذاهب الأربعة، إلا انه بقيت الحظوة والسيطرة للمذهب الشافعي، وهذا ما ذكره تاج الدين السبكي –فيما ذكرناه آنفا–حيث انه اختص الفقهاء الشافعية بالخطابة في الجامع الأموي دون غيرهم، كما كان تعيينهم في المناصب الأخرى هو الغالب.

[1]– ابن حجر ،المصدر نفسه، ج 3، ص 138.

المبحث الثاني :أثار الحياة المذهبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م:

لقد تكّرس خلال القرن 8هـ/14م انقسام المذاهب الفقهية، وأثّرت المِحن والفتن المذهبية على الفقهاء الذين عاشوا بعد حدوثها ولم يكونوا معاصرين لها، وكان جانب العقيدة الأكثر تأثيرا، لذا كثُر الكلام بشأن العلماء الذين صنّفوا بغزارة في هذا الجانب.

قال المقريزي عن موقف كلٍّ من أهل الحديث والأشاعرة من تقّيّ الّدين ابن تيمية: " ...افترق النّاس فيه فريقان فريق يقتدي به ... ويرى أّنه شيخ الإسلام ... وفريق يُضّلله"[1]،ولم يكن الحّكام بعيدين عن الحياة المذهبية، قال المقريزي في وصِفِه لهذه الأخيرة : "... وتباغضوا ... وانتصروا بالّدول واستعانوا بالملوك... ".[2] كماُ يُمّثل توارث الّتدريس في كثير من الحالات، وتوارث تولّي الخطابة والقضاء أحيانا إحدى انعكاسات الحياة المذهبية على الحياة الاجتماعية، واّتّخذت العاّمة عدة وسائل لإظهارُ وُّده ا للعلماء البارزين؛ فمن ذلك ضخامة جنائز بعض العلماء، كما كانت جنازة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية .

ونذكر من انعكاسات الحياة المذهبية في الجانب الاجتماعي:

أ – أثر تعّدّد القضاة : لقد احدث الظاهر بيبرس تعدد القضاء فجعل أربعة قضاة على المذاهب الأربعة الا ان ذلك لم يؤّثّر تأثيرا قوّيّا على مكانة الّشّافعية عند المماليك، وكان أثر تعدّد القضاة في مواقف جزئية، حيث تعارضت أحيانا أحكام الُقُضاة في بعض القضايا؛ ففي سنة 704هـ /1304م – مثلا – حكم قاضيُ قُضاة المالكية في دمشق جمال الّدين الّزواوي بقتل محّمد بن

[1]- المقريزي، المصدر الّسّابق، ج 3، ص 426.

[2]- نفسه، ص 435.

جمال الّدين البأُجُر بقي[1] ... وإن تاب وأسلم بعد إثبات محضر عليه يتضّمّنُ كفر البأُجُر بقي المذكور ...[2] الذي كانُ يُصرّح بعظائم؛ منها أّنّ الرّسل قد طّولت على الأمم الّطّريق إلى الله، وأّنّه بإمكانه أن يوصلهم إلى رضوان الله بأسرع منسبيل الرّسل ، ولّمّا حكم القاضي المالكي بقتله فّرّ إلى العراق، وفي سنة 706هـ/1306م حكم قاضيُ قُضاة الحنابلة سليمان بن حمزة بَحَقن دمه، وُأثبت عنده محضر بعداوة بينه وبين الّشّهود الّسّتة الذين شهدوا عليه عند المالكي حين حكم بإراقة دمه[3]. وعندئذ غضب قاضيُ قُضاة المالكية وجّدّد الحكم بقتله.

وخلال سنة 710هـ/1310م وقعت منازعة بين صدر الّدّين ابن الوكيل الّشّافعي[4] وبين فقيه آخر من فقهاء الّشّافعية في دمشق بسبب تدريس المدرسة العَذراوية، فُكُتب محضر عن ابن الوكيل يتضّمّن من القبائح والكفريات..، فسارع هذا الأخير إلى القاضي الحنبليسليمان بن حمزة فحكم بإسلامه وَحَقن دمه وإسقاط العقاب عنه، وانتُزِعت من ابن الوكيل المدرستان العَذْراوية والّشّامية الجُوانية[5].

وخلال جمادى الأولى سنة 751هـ/1350م اجتمعُ قُضاة دمشق بفعل ما حكم به القاضي الحنبلي جمال الدّين المِرْداوي[6] بهدم دار موقوفة على المدرسة العُمَرية في الّصالحية وإضافتها إلى

[1] محّمّد بن عبد الّرّحيم بنُ عُمير، قدمت عائلته من إحدى بلدات الجزيرة الُفُراتية إلى دمشق عام 676هـ / 1277م، وكانت وفاته عام 724هـ / 1324م. ابن حجر، **الّدّرر الكامنة**، ج 5، ص 260.

[2] ابن كثير، المصدر نفسه، ج7 ص 414.

[3] نفسه، ج 7، ص 422.

[4] ابن حجر ، المصدر السابق، ج4، ص 12.

[5] ابن كثير ،المصدر السابق ،ج7 ، ص 436.

[6] –ابن حجر ،المصدر السابق ،ج 6،ص 243.

المدرسة، فاعترض عليه القاضي الشّافعي وهو حينها تقيّ الدّين السّبكي وحكم الحنفي[1] بعدم هدمها، فوصل كتاب من السّلطان في وقف الهدم.ولّمّا كان عصر المماليك البحرية يعّجّ بالاضطرابات السياسية الدّاخلية، فقد اختلفت أحيانا مواقف القضاة منها.

ب – أثر التعصب المذهبي:

لقد كان التعصب المذهبي خلال فترة الدراسة سائدا ، وطال هذا التعصب مؤسسات الدولة المملوكية، وعامة الناس، وأسهم في إشاعة التفكك، والاضطراب في المجتمع والدولة وكان له تأثير كبير على المسلمين في حياتهم الاجتماعية ، فجرّهم إلى الفرقة و التناحر، و إلى السباب و المهاترات ،و التكفير و اللعن ، و الفتن و المصادمات الدموية[2] ،فقد شكلت تلك المذاهب طوائف اجتماعية، أشبه ما تكون بالأحزاب المتنافرة المتدابرة وليس هذا فحسب فقد غير أتباع المذاهب المتأخرين وبدلوا ما كان عليه أصحاب المذاهب الأوائل، ورجاله من الأئمة والفقهاء والعلماء، حيث كانت أخلاق العلماء، وتقواهم هو القانون السائد في بدايات نشوء المذاهب، ثم ما لبثت المذاهب أن احتوت أنواع من عامة الناس والتجار والإداريون والطلاب وغيرهم ممن لم يتشرب الفقه والتقوى، وسماحة الإسلام، فحدث أن تعصبوا وتحزبوا، وتباغضوا وتدابروا، فكان منهم من يتخذ المذهب وسيلة لمنفعته الخاصة ومنهم من أحب الجاه والوصول للمناصب العليا، وحتى التجار تمذهبوا ،ليرضوا أذواق جماهير من العامة لتسويق بضائعهم، وكان غالبية العامة، لا يعرفون من المذاهب إلا اسمها دون فهم أو تطبيق. وفي هذه الحالة المزرية، ظهرت مدارس فكرية مذهبية، ينشىء بينها صراع مرير ألقى بظلالة على الناس والسلطة، وقد دعم الأمراء المماليك تلك المدارس حسب أهوائهم وميولهم فكان ذلك من أسباب ظهور التعصب المذهبي، واستفحال شأنه، وزاد من تمكنه انحياز كبار العلماء

[1]– ابن حجر، المصدر السابق، ج 1، ص 43.

[2] خالد كبير، **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي**، ص 12.

والفقهاء، إلى ما اختاروه من مذاهب، على حساب الحق، فكثرت المناظرات التي أفضت إلى منازعات[1].

وكان كثيرا ما يصاحب هذه الفتن المذهبية، فكرة استئصال المذاهب المنافسة، وقد ذكر ابن كثير أن شيخ الإسلام ابن تيمية، عندما بدأ بمحاربة التصوف وهاجم شيوخه[2] وقد كان المتصوفة حلفاء للشافعية والأحناف في مصر والشام تعرض ابن تيمية للمحاكمات والحبس والاهانة، مما أثار الحنابلة في الشام.

ونتيجة لذلك، ذكر ابن كثير، أنه حصل للحنابلة في الشام خصوصا، هم وأذى كبير وتعرضوا للمحن، وتم إجبارهم على ترك مذهبهم، ووصل الأمر في المسجد الأموي إلى اقتحام رواق الحنابلة ،من قبل المتصوفة والمذاهب الأخرى وصلوا فيه، إمعانا في استئصال مذهبهم ومحاولة إضعافه، كل ذلك حدث برضي من السلطة المملوكية، التي كانت تهمش المذهب الحنبلي، وبرضى المذاهب الثلاثة الأخرى، التي أيدت ذلك ،للتخلص من مذهب منافس لها[3].

وحدث أن انتصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون للحنابلة، عندما أفتوا بحرمة أن يعزل السلطان نفسه، وساند الحنابلة السلطان الناصر محمد، وترتب على ذلك أن قام ابن تيمية بزيارة الناصر محمد، ودعمه ضد خصمه السلطان المظفر الجاشنكير، الذي دعم المتصوفة ضد الحنابلة، ودعم آراء المتصوفة في التوسل وزيارة القبور وغيرها من مسائل الخلاف بينهم وبين الحنابلة، وعندما تولى الناصر محمد لولايته الثالثة، انتقم من السلطان المظفر الجاشنكير ونصر الحنابلة ضد خصومهم[4]؛ ويتبين من ذلك أن وقوف السلاطين، مع أو ضد المذاهب، كان بدوافع شخصية منهم، وأحيانا بدافع الصراع على السلطة، وبأي حال فأن موقفهم ذلك، أذكى نار الفتنة المذهبية في بلادهم وشجعها. ولا يخفى على أحد الصراع الكبير بين الحنابلة والأشاعرة الشوافع،حتى وصل

[1] ابن العماد، **شذرات الذهب**،ج8،ص135.

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ج14 ،ص38 .

[3] نفسه ، ج14، ص41 .

[4] نفسه ، ج14، ص60 .

الأمر إلى حد الصراع، وتكفير بعضهم البعض ورميهم لبعضهم بالزندقة والكفر. وكل ذلك أثر تأثيرا مباشرا وواضحا على الدولة والمجتمع، وقد بلغ حد الإرهاب المذهبي، أن أجبر ابن تيمية على أن يكتب بخط يده، على أنه ترك المذهب الحنبلي، وأصبح أشعري الاعتقاد شافعي المذهب، ونودي في دمشق أنه من ذكر عقيدة ابن تيمية الحنبلية،شنق وكتب محاضر على الحنابلة بمثل ذلك[1]، وهذا دليل واضح، على مدى سوء حالة المذهبية في الشام في ذلك الوقت، ومدى التأثير على العلاقات الاجتماعية في الشام.

وقد واجه العلماء أمثال ابن قيم الجوزية وابن مرى البعلبكي، ابن شاس، وعلي بن عبد الله الإسكندري وهم من شيوخ الحنابلة، السجن والتعذيب والإرهاب،بسبب الصراع المذهبي، ونتيجة لذلك، نجد الكثير من العلماء، قد تركوا مذهبهم وتحولوا إلى مذاهب أخرى يكونون من خلالها في منأى عن التعذيب والتنكيل[2].

وفي المسجد الأموي، حصل خلاف كبير، عندما تقدم الإمام الشافعي على الإمام الحنفي في الصلاة،وتحزب الناس لكل مذهب، وكادوا أن يقتتلوا.

كما تذكر بعض المصادر أن الدولة المملوكية ساندت المذهب الحنفي ،على المذهب الشافعي في العديد من القضايا الخلافية خاصة في أمور العبادات كالصلاة .وكانت المناظرات إثارة للفتن، وبث الشحناء والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وتبعث في المتناظرين التعصب والاعتداد الزائد بالنفس، والتكبر وعدم الخضوع للحق ، وبذلك ندرك أن الصراع المذهبي والتعصب، قد أثر كثيرا في الحياة الاجتماعية في الشام وبلغ حدا لا يمكن الاستهانة به في تغيير مجري الأحداث[3] .

وسرى هذا التعصب إلى المؤسسات الدينية،القائمة على أساس المذهب، فكانت مدينة دمشق وحدها، تحوي العديد من المساجد المذهبية، فمعظم مساجدها داخل السور كانت للشافعية والأحناف والمالكية، وأغلب المساجد خارج السور كانت للحنابلة· بل وكانت بعض تلك

[1] المقريزي، **السلوك**، ج2، ص 401.

[2] ابن العماد، المصدر السابق ،ج4، ص347.

[3] نفسه، ج4 ،351.

المساجد،مقسمة من الداخل إلى محاريب، يصلي فيها أتباع كل مذهب خلف إمامهم فقط، فالمسجد الأموي والمسجد الأقصى وبعض المساجد الكبيرة.

ج – استفادة أهل وحدة الوجود من الخلافات بين الأشاعرة وأهل الحديث:

وقد حرص أنصار ابن عربي على بقاء ابن تيمية في السّجن وقالوا هذا رجلِ مِحجاج خصم ، ورغم المِحنة استمرّ ابن تيمية على التّحذير من الاتّحادية سيما من خلال تصانيفه، والملاحظ أن أصحاب وحدة الوجود في النّصف الثّاني من القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي في مصر خلال النّصف الثّاني صاروا أقدر على إعلان عقائدهم، بل إننا نجد سراج الدّين عمر بن إسحاق الهندي[1] قاضيُ قُضاة الحنفية في مصر بين عامي(769 – 773هـ) (1367 – 1371م) يناصر هؤلاءُ مُناصرة صريحة، و أنزلِ مِحنه بأبي حجلة في ذلك، و هذا الأخير هو شهاب الّدّين أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التّلمساني (ت 776هـ / 1374م)، وُلد بمدينة تلمسان في بلاد المغرب سنة 725هـ / 1325م، و قدم إلى القاهرة و استقرّ فيها، و كان يُحّذّر من أهل الوحدة و

[1]– ابن حجر، المصدر السابق، ج4 ، ص 182-183.

خصوصا ابن الفارِض ، و نَظَم قصائدا عارض فيها جميع قصائد هذا الأخير، و نشط في الرّد عليه؛ فسبّب له ذلك نكبة.[1]

د: اختصاص الطوائف الإسلامية بأحياء سكنية خاصة بهام في المدينة الواحدة ، و هذه الظاهرة موجودة في كثير من مدن المشرق الإسلامي[2] ، نذكر منها ما كان في مدينة دمشق ، فقد كانت سنية خالصة في معظم تاريخها الإسلامي ، فسكن غالبية الحنابلة حي الصالحية شمال المدينة خارج سورها. و كان غالبية الشافعية و الحنفية و المالكية يسكنون داخل مدينة دمشق[3] .

[1]- ابن حجر، نفسه، ج 1، ص 390-391.

[2] خالد كبير ، **التعصب المذهبي في التاريخ**، ص64.

[3] ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج 3، ص 390 .

المبحث الثالث:أثر الحياة المذهبية على الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م:

أ: تأثر المؤسسات العلمية بالمذاهب الفقهية :

مما لا شك فيه أن المؤسسات الدينية في الشام، تأثرت تأثراً كبيرا بالمذاهب السنية الأربعة وظهر ذلك جليا في تقسيمات تلك المؤسسات على أسس مذهبية، حيث نرى مدارس وزوايا وربط ودور قرآن وحديث شافعية، وأخرى حنفية وثالثة مالكية ورابعة حنبلية .

وكان من يعين في المدارس الشافعية مثلا، من قضاة وعلماء الشافعية فقط، فقد ذكر النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس في معرض حديثه عن دار القرآن الكريم الصابونية أن واقفها اشترط أن يكون خطيبها وإمامها شوافع[1]. وبالتالي قصر المدرسة على المذهب الشافعي دون غيره وهذا من التعصب المذهبي، ولا يخفى على أحد مدى تأثير التعصب المذهبي على الدارسين فيها وتحزبهم لمذهبهم.

ولا ينكر أحد أن الدولة المملوكية قامت بجهد كبير لإنشاء المدارس والربط والزوايا وغيرها من مؤسسات، وأحيت كذلك المدارس والمؤسسات الدينية الأيوبية[2].

ولذلك ظهر تأثير المذاهب الدينية في المؤسسات الدينية والأوقاف جليا، بعد أن أوكل السلاطين، للقضاة الأربعة، صرف رواتب للموظفين في تلك المدارس والمساجد وغيرها، وهذا ما بذر بذور الخلاف والتنافس منذ بدأ نظام المذاهب الأربعة بالظهور والاستقرار.

---

[1] النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص13 -14.

[2] المقريزي ،**السلوك** ، ج4 ،ص231 .

وغالبا ما ارتبطت كثير من الأوقاف والمؤسسات الدينية، بوصية الواقف والتي يشترط فيها غالبا، أن يلي التدريس في تلك المؤسسات أبناءهم وأحفادهم، وهذا مما يحرم تلك المؤسسات من نوابغ العلماء وفضلاءهم، من أن يعلموا في تلك المدارس وبذلك حرمان الطلاب من العلم النافع فقد ذكر المقريزي مثلا أن قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن كمال الدين ابن العديم الحنفي قد جعل ابنه مكانه في التدريس برغم صغر سنه وكثرة لهوه[1]، و هذا ما أوجد التنافس بين المذاهب، في المؤسسات الدينية، وإلا فما العيب أن يتعلم الجميع المذاهب في درس واحد، ولكن التعصب أعمى قلوب وأبصار الكثيرين منهم.

على أن المحرك الاقتصادي لتلك المؤسسات، ونشوء الخلافات فيها نابع من التغالي في الصرف على مؤسسات مذهب دون غيره، فقد ذكر المقريزي أن الامتيازات التي تمتع بها المدرس كوظيفة النظر في أوقاف المدرسة بالإضافة للتدريس، كانت مثار تنافس شديد على تولي مهنة التدريس في الدولة المملوكية، ففي مدرسة أنشئها السلطان الناصر محمد، كان الشرط فيها أن يدرس المذهب الشافعي فقط، وجعل للمدرس أربعين دينارا، وعن نظره في الوقف عشرة دنانير، وجعل له خبزا في كل يوم ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء النيل[2]، وهذا من أهم أسباب الحرص على التدريس في المدارس ووراثة وقفها، وبالتالي يحدث التنافس والخلاف .

على أن الترهيب كان له دور كبير في بعض المؤسسات الدينية، حيث أجبر كثير من الحنابلة على ترك مدارسهم ومساجدهم وبقائهم في بيوتهم، حتى أنه جرد فقهائهم من كثير من المناصب وطرد المدرسون من المدارس وغيرها[3]. وإمعانا في تأثر المدارس وغيرها بالمذهبية،كان يكتب على أبواب بعض المدارس شروط الواقف، فقد ذكر صاحب كتاب الكواكب السائرة ، أن زكي الدين

[1] المقريزي، **السلوك** ، ج6، ص207.
[2] المقريزي، **الخطط** ، ج2 ، ص338.
[3] خالد كبير،**التعصب المذهبي** ، ص43.

بن رواحه (ت 622هـ/1224م) الشافعي المذهب، بأنه أنشأ مدرستين في دمشق وحلب وكتب على بابهما "ألا يدخلها مسيحي أو يهودي أو حنبلي"[1].

وعلى الرغم مما ذكر سابقا إلا أنه وجدت في المقابل محاولات للجمع بين المذاهب في مدرسة واحدة، وكانت محاولات جمع المذاهب في مدرسة واحدة فكرة قديمة، حيث بدأت في العراق في المدرسة المستنصرية زمن الخليفة العباسي المستنصر بالله، وكذلك في المدرسة البشيرية في بغداد، والمدرستين الصلاحية والمنصورية بالقاهرة، والعديد من المدارس المشتركة في الشام، لكن هذه المحاولة لم تلغي التميز والفرقة بين تلك المذاهب، فإن تلك المدرسة لم تكن مشتركة إلا في عمرانها ومرافقها وجراياتها، ولكن كان لكل مذهب رواق، به أساتذة المذهب وطلابه ،وبرنامجه الخاص المغاير للأروقة والمذاهب الأخرى ، فهو إن خفف نوعا ما من التعصب والنزاع، فإنه من جهة أخرى قد كرس الفرقة والتمذهب والتعصب في المدرسة الواحدة.

أما المساجد فقد نالت نصيبا كبيرا من أثر المذهبية، فكانت توجد بها محاريب لكل مسجد وفي نفس الجامع الواحد، وكان لكل مذهب إمام وجماعة يصلى بهم. وقد أثرت فتاوى كثير من علماء المذاهب في المساجد، وأنشأت خلافات بين المصلين ومن فتاويهم في العهد المملوكي، تحريم الاقتداء بالمخالف، وبطلان صلاته فلا يجوز الصلاة بمذهب مخالف ويجب إعادتها، وهذا بلا شك سيفجر صراعا مريرا بين رواد المساجد من المصلين، وبالتالي سوف يؤثر على مسيرة المسجد ودوره في المجتمع. ومن المعروف أن المؤسسات المذهبية من مدارس ومساجد وغيرها قد خرجت الآلاف من معتنقي الفكر المذهبي، فالمدارس الحنبلية مثلا كانت قد دربت فقهاء ومفسرين ومحدثين، وتولى علمائهم الخطب في المساجد والمدارس والزوايا لتكثير أتباعهم ومريديهم.

ب: تعصب العلماء فيما بينهم

أورد الباحث خالد كبير علال نماذج من التعصب المذهبي بين العلماء ومن النماذج التي ذكرها والمتعلقة بفترة الدراسة (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي) نجد:

[1] أبو شامة،**الروضتين**، ج1، ص10 .

– النموذج الأول يتعلق بتعصب النحوي أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي(ت 745هـ) على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، و ذلك أنهما اجتمعا في مجلس فتكلما أبو حيان في مسألة نحوية ، فقاطعه ابن تيمية فيها و ألزمه الحجة ، فذكر أبو حيان قول سيبويه في المسألة ، فقال له ابن تيمية : ((أسيبويه نبي النحو أرسله الله به حتى يكون معصوما ، إن سيبويه أخطأ في القرآن ثمانين موضعا لا تعقلها أنت و لا هو ...))، فغضب أبو حيان و نافر ابن تيمية بسبب ذلك ، و أصبح أكثر الناس ذما له ، و كان من قبل قد مدحه بأبيات شعرية ، فلما اختلف معه كشطها –أي الأبيات– من ديوانه[1].

– و النموذج الثاني يتعلق باتهام الفقيه الحنفي عبد الله الزيلعي (ت 762هـ)[2] لمحمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح بالتعصب على مذهب أبي حنيفة ، فقال في البخاري: إنه كان شديد التعصب و التحامل عليه –أي مذهب أبي حنيفة– ، حتى أنه عندما ذكر في أول كتابه–أي الصحيح– : باب الصلاة من الإيمان ، و ذكر الأحاديث على ذلك ، كان يقصد الرد على أبي حنيفة في قوله بأن الأعمال ليست من الإيمان [3].

– و النموذج الثالث يتعلق باتهام الفقيه تاج الدين السُبكي الشافعي(ت 771هـ/1370م)[4] للحافظ عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي(ت 481هـ) بالتعصب لمذهبه ، فقال : إنه كان شديد التعصب للحنبلية حتى كان ينشد على المنبر :

أنا حنبلي ما حييتُ و إن متُ فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

حتى أنه أيضا ترك الرواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري لكونه أشعريا[5].

[1] خالد كبير،**التعصب المذهبي**، ص117.

[2] ابن حجر ،المصدر السابق ، ج3 ، ص 95.

[3] خالد كبير، المرجع السابق، ص 117

[4] ابن حجر ،المصدر السابق ، ج 3 ، ص232–233. الزركلي: **الاعلام**، ج4 ،ص 184.

[5] خالد كبير، **التعصب المذهبي**، ص118.

– النموذج الثالث يتضمن نموذجا لتعصب التلميذ على أستاذه و تحامله عليه، و يتعلق بتعصب تاج الدين السُبكي على شيخه الحافظ شمس الدين الذهبي (ت748هـ)[1] ، وهو ما سنتطرق له في مبحث أثر المذاهب على حركة التدوين التاريخي.

ب – تأثّر الكتابة التاريخية :

لقد كان للحياة المذهبية تأثير على الكتابات التاريخية وتباين تأثّر المؤرّخين في كتاباتهم بالحياة المذهبية خلال فترة الدراسة –القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي– ، وأشّدّهم تأثّرا بها تاج الدّين السُّبْكي، ويظهر ذلك جليا في كتابه(طبقات الّشّافعية الكبرى)، وقد ترجمفيه لأعلام الشّافعية وانتهى في ذلك إلى عصره. ومن مظاهر التأثّر نجد تفسيره للحوادث التّاريخية؛ فمن أبرز أحداث النّصف الثّاني من القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي في دولة المماليك خروج المُلْك عن أبناء الظّاهر بَيبرس إلى سيف الدّين قّلاوون وبنيه، فلمّا توفي السّلطان الظّاهر عام 676هـ/1277م خلفه ابنه محّمّد ناصر الدّين الملقّب بالملك السّعيد وخلال سنة 678هـ /1279م تآمر عله سيف الدّين قّلاوون مع أمراء آخرين وخلعوه عن السّلطنة، وجعلوا مكانه أخاه بدر الدّينُ سُلامش الملقّب بالملك العادل، وعمره سبع سنين فكان قّلاوونُ يُدير المملكة وليس لُسُلامش من الأمر شيئا، وفي الّسّنة نفسها أبعد قّلاوون هذا

[1]ابن حجر، المصدر السابق ،ج5 ،ص66-68.

الأخير وتوّلى السّلطنة حتّى وفاته سنة 689هـ /1290م[1]، فذكر تاج الدّين السُّبكي أنّهُ يُحتمل أن يكون خروج الملك عن أبناء الظّاهر بَيْبرس بفعل إشراكه غير الشّافعية في القضاء، فقال: " ...وحُكي أن الظاهر رأى الشافعي في النوم... وهو يقول : تُهين مذهبي؟ البلاد لي أو لك؟ أنا قد عزلتك وعزلت ذرّيتك إلى يوم الدّين فلم يمُكُث إلا يسيرا ومات، ولم يمُكُث ولده السّعيد إلا يسيرا وزالت دولته، وذرّيته إلى الآن فقراء..."[2]

كما ذكر تاج الدّين في التّعبير عن استيائه من تعدّد القضاة؛ فقال عن السّلطان الظّاهر بيبرس: " وقدُ حُكي انّهُ رُئي في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: عذّبني عذابا شديدا بجعل القُضاة أربعة."[3] فنلاحظ أنّه يعتبر الأحلام أدّلة يحْتجُّ بها. وُيُعتبر الإفراط في الثّناء على بعض الأعلام من أبرز مظاهر التأثّر، فقال تاج الدّين في ترجمته لوالده تقيّ الدّين السُّبكي :" ...وكانت دعواته تخترق السّبع الطِّباق...وتفترق بركاتها فتملأ الآفاق، وتستَر خبر السّماء، وكيف لا وقدُ رُفعت على يد وليّ الله..."[4].

[1]- ابن التغري بردي، المصدر السّابق، ج 7، ص 243-248.

[2]تاج السبكي، **طبقات الشّافعية الكبرى**، ج 8، ص 320، 321.

[3] نفسه، ج8،ص 321.

[4]نفسه، ج 10، ص 140.

وتضمّن كتاب طبقات الشّافعية الكبرى تحاملا كبيرا من تاج الدّين السُّبكي على شيخه شمس الدّين الذّهبي[1]، فاتّهمه بعدم إنصاف الأشاعرة في التّراجم فقال: " ... فلذلك لاُ يُنصفهم في التّراجم ... "[2]،كما اتّهمه بالُمبالغة في ذلك فقال: " ... ومال فأفرط على الأشاعرة.." وقال أنّه:"..وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثّلاثة... من الحنفية والمالكية والشّافعية فإنّي أعتقد أنّ الرّجل إذا مدّ القلم لترجمة أحدهم غضب غضباُ مُفرطا ثمّ مزق الكلام" ، أيلم يستوف جوانب التّرجمة، واتّهمه أيضا باتّباع الهوى، فقال عن نقده لفخر الدّين الرّازي: " ... فأيُّ هوى نفسٍ أعظم من هذا...". وممّا قال تاج الدّين كذلك في التّحامل على الذّهبي:

"...وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمّتهم الذين حملوا لنا الشّريعة النّبوية فإنّ غالبهم أشاعرة، وهو إذا وقع بأشعري لاُ يُبقى ولا يَذَر، والذي أعتقده أنّهم خصماه يوم القيامة..."[3].غير أنّ أقواله هذه غير صحيحة؛ فتاج الدّين لم يكنُ مُصيبا عندما قال إنّ غالبية علماء الشّريعة هم من الأشاعرة لأنّ علماء أهل السّنة من القرن الأوّل إلى القرن الثّالث الهجري كانوا كلهم على مذهب أهل الحديث ، ولم يظهر المذهب الأشعري إلّا خلال القرن الرّابع الهجري/

[1] خالد كبير ،المرجع السابق،ص 118.

[2] تاج الدّين السُّبكي، نفسه، ج 9، ص 103.

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 13-15.

العاشر الميلادي، ولم ينتشر إلّا خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وما بعده . وحتّى بعد انتشاره فإنّ كثيرا من أعيان أهل السّنة لم يكونوا أشاعرة[1].

كما أنّ الذّهبي قد أنصف أعلام الأشاعرة في تراجمه لهم[2]، ونجد أمثلة كثيرة جدّا لذلك سيما بالنّسبة لأعلام الفترة المدروسة، فقد أثنى ثناء واسعا على فخر الدّين ابن عساكر الدّمشقي، فممّا قال: " ... الشّيخ الإمام العالم القُدوة ... فخر الدّين أبو منصور عبد الرّحمان بن محمّد... "، ثمّ ذكر شيوخه وأشار إلى المدارس الّتي درّس فيها ثمّ قال: " ... ولطفه واقتصاده في ملبسه وكان لا يفُتُر من الذّكر... "، ونقل ثناء الفقهاء عليه وأطال في ذلك، ثمّان تهى إلى ذِكر تلاميذه"[3].وأثنى كثيرا على زين الأمناء ابنَ عَساكر، وممّا قال عنه:

"... الشّيخ العالم ...العابد الخيِّر زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمّد بن الحسن... بن عساكر...."،

وأثنى الذّهبي ثناء كثيرا على تقيّ الدّين ابن دقيق العيد، فمن ذلك قوله: " ... الإمام العّلامة ... تقيّ الدّين أبو الفتح محمّد بن علي ...أحد الأعلام..."، ثمّ ذكر شيوخه وقال :"..ألّف التّصانيف

[1] خالد كبير ،**المرجع السابق** ، ص 119 – 120.

[2] نفسه ، ص 119.

[3] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 22 ص187-190.

البديعة ... وكان إماما متفنّنا مُحدّثا مُجوّدا... فقيها مدقّقا... وافر العقل كثير السّكينة... قلّ أن ترى العيون مثله..."[1]، ونجد نماذج كثيرة كهذه في مصنّفات الذّهبي[2].

وكانت حقيقة الخلاف بين السُّبْكي وشيخه اختلاف مذهبيهما في العقيدة، فالذّهبي كان على عقيدة أهل الحديث، في حين تاج الدِّين أشعريا، وممّا زاد في حدّة الخلاف وتعصّب السُّبْكي على شيخه هو أنّ الذّهبي كان شافعيّا مثله في الفقه، فعزّ على السُّبْكي ذلك ، ونقم عليه عدم اتّباعه معظم فقهاء الشّافعية على عصره في كونهم أشاعرة.[3] وذكر أحد المؤرّخين انه حتّى في حال التّسليم بصحّة ما ذكر تاج الدّين السُّبْكي عن الذّهبي بشأن عدم الإنصاف في كتبه، فإنّ السُّبْكي قد أتى بأضعاف ذلك،

ونقِم السُّبْكي على شيخه نقده لفخر الدّين الرّازي، إلا أنّ الذّهبيّ قد برّر ذلك النّقد؛ فممّا قال عنه :"... وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السّنة."[4] ، وقال ابن كثير : "...وفيه غرائب وُيُنسب إليه أشياء عجيبة"[5].

[1] الذهبي، نفسه، ج 29، ص 126 – 130.

[2] خالد كبير، المرجع السابق، ص120.

[3] نفسه، ص 120.

[4] الذّهبي، **سير أعلام النبلاء** ،ج 21، ص 501.

[5] ابن كثير، المصدر السابق، ج 7، ص 110.

خلاصة الفصل :

لقد استمرّ الانقسام إلى مذاهب فقهية في بلاد الّشّام خلال القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي كما كان سائدا من قبل، حيث أَلف أهل العلم ذلك، وصار التفقه يتم في إطاره. كما انتشر توارث مناصب التّدريس والخطابة بشكل معتبر، وقد اتسع هذا الانقسام ليشمل مختلف المجالات ، وقد كان للسلطة الحاكمة دور في تذكية هذا الانقسام في بعض الحالات كما كان في فتنة شيخ الإسلام ابن تيمية ، كما استعان المماليك بالشافعية في التعين في اغلب المناصب دون القضاء الذي عين منه قضاة للمذاهب الأربعة، وكانت أثر التعّدّد في مواقف جزئية تعارضت فيها أحكام القضاة الأربعة.

كما أّثّرت الحياة المذهبية على الحركة العلمية تأثيرا قويا، من حيث توجيه التصنيف سواء في جانب العقيدة أو في جانب الفقه أو غير ذك، ووجد التعصب في المدارس والمؤسسات العلمية حيث انشأت على أساس مذهبي، كما أن هذا التعصب طال المساجد فجعل لكل مذهب مسجده ومحرابه، ووصل حد تحريم الصلاة خلف أمام المذهب المخالف، ولم يسلم حتى العلماء الكبار من التعصب لمذاهب وهذا ما كان بينهم من تعصب للمذهب على حساب الحق وبرز ذلك جليا عند تاج الدين السبكي.

ورغم الآثار السلبية لتعدد المذاهب الفقهية وما نتج عنها من تعصب مذهبي على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية إلا أنها كانت لها أثار عظيمة على المجتمع الإسلامي حيث ساهم ذلك في القضاء على المذهب الشيعي الذي عمل الفاطميون على مدى قرون لتشبيته في مصر وبلاد الشام ، كما ساهم الحركة العلمية في تثبيت المذاهب السنية الأربعة في هذه الأقطار ، كما كان لكثرة إنشاء المدارس ودُور العلم دور في تنشيط الحركة العلمية وقد عرف عصر المماليك البحرية نشاطا كثيفا فيما يخّصّ التّصنيف الذي وّجّهته المذاهب بشكل عامّ.

الخاتـــــمة

لقد توصلنا من خلال دراستنا للمذاهب الفقهية السائدة في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م من خلال كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني إلى النتائج التالية:

- سادت المذاهب الفقهية الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية بلاد الشام دون غيرها من المذاهب، رغم الاختلاف في مدى انتشارها، فمن حيث عدد أتباع كل مذهب من العلماء فقد كان المذهب الشافعي الأكثر عددا حيث أحصينا مائة وواحد وأربعون عالما وفقيها ثم يأتي في المرتبة الثانية المذهب الحنفي بواحد وثلاثين ومائة عالما وفقيها ويليه المذهب الحنبلي بواحد وثمانين عالما وفقيها وفي الأخير المذهب المالكي بتسعة وثلاثين عالما وفقيها[1]. هذا بالنسبة للغالبية وقد كانت السيطرة والحظوة عند السلطان للمذهب الشافعي الذي عرف مساندة كبيرة من طرف السلطة.
- ساهم علماء هذه المذاهب في ترسيخ المذهب السني والتمكين له على حساب المذهب الشيعي الذي عملت الدولة الفاطمية على ترسيخه في هذه البلاد .
- أبدى اغلب سلاطين المماليك اهتماما كبيرا بالأوضاع الدينية ويتضح هذا من خلال دعم النواحي الدينية في الشام.
- أسهم المماليك في النهضة الحضارية والدينية من خلال بناء المؤسسات الدينية و العلمية ودعمها.
- خلصت الدراسة إلى دور العلماء الهام في محاربة كل أنواع الفساد في الدولة المملوكية.
- دعم سلاطين المماليك المذاهب السنية الأربعة وحاربوا غيرها من المذاهب والفرق الباطنية والتشيع وأهل الانحراف.

[1]انظر الرسم البياني الملحق رقم1.

- أثرت المذاهب السنية على مؤسسات التعليم الدينية في الشام في عهد المماليك وظهرت مؤسسات دينية خاصة بكل مذهب.

- تنافست المذاهب السنية الأربعة في كسب أتباع لها ومريدين وأدى هذا التنافس إلى ظهور ما يسمى بالخلاف والتعصب المذهبي الذي ترتب عليه نشوء صراعات أثرت على مؤسسات التعليم والمجتمع.

- شمل التعليم جميع طبقات المجتمع بغض النظر عن المستوى الاجتماعي.

- التنافس بين جميع فئات المجتمع على طلب العلم أدى إلى إثراء المكتبة الإسلامية بمصنفات موسوعية كثيرة.

الملاحق

ملحق رقم (1)

رسم بياني يوضح إحصائيات علماء بلاد الشام في القرن 8هـ/14م من خلال كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني

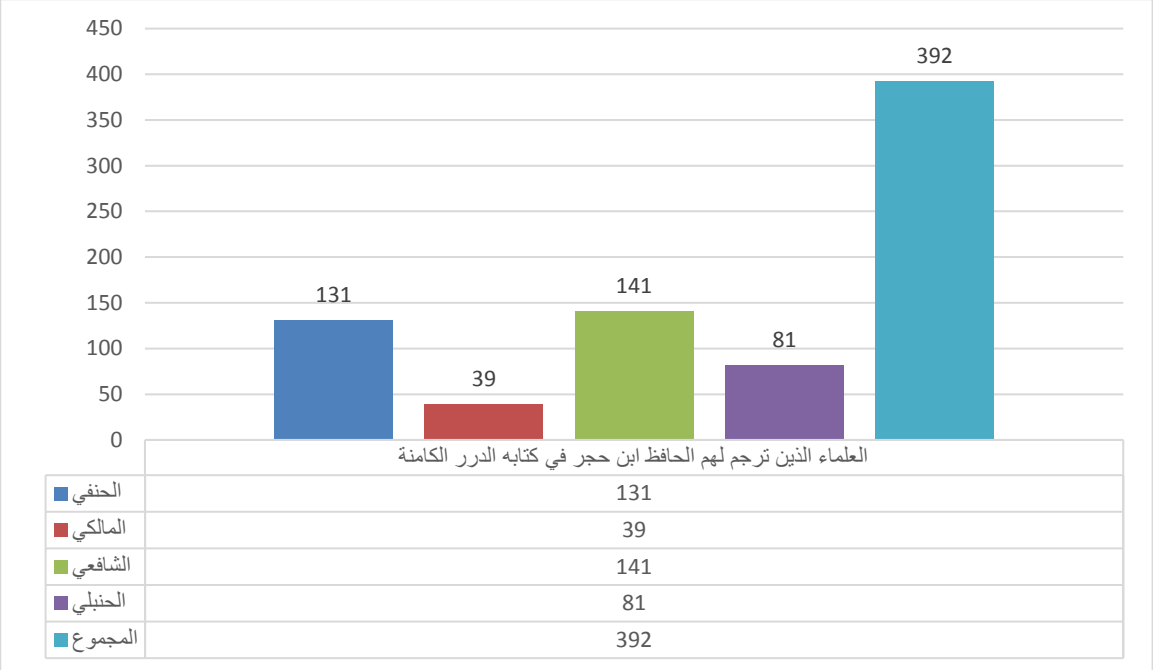

ملحق رقم2

جدول لأهم المدارس التي أنشئت في العهد الأيوبي وأشهر مدرسيها والتي ظلت تؤدي دورها في العهد المملوكي:

الرقم	المدرسة	المدينة	العهد	مدرسوها في العهد المملوكي
1-	الأتابكية	دمشق	الزنكي	1-صفي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الأرموي الافعي(ت715 هـ) .[1] 2-جمال الدين الزرعي[2] 3-محيي الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جهبل، توفي 740هـ .[3] 4-صدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني[4]، 5- تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي ت756هـ .[5]. 6-ولي الدين أبو ذر عبد الله بن التقي السبكي[6]. 7-زين الدين أبو حفص الملحي 8-بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي البقاء، توفي سنة 803هـ 9-فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي توفي 814هـ .(11).[7] 11-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي توفي سنة 816هـ .

[1] النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ،ج1،ص91.
[2] ابن العماد، شذرات الذهب،ج6،ص107..
[3] النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ،ج1،ص91.
[4] نفسه ،ص100.
[5] نفسه،ص100.
[6] تفسه،ص100
[7] نفسه101.

				12-شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الأخنائي الشافعي توفي سنة 816هـ . 13-كاتب سر نوروز ناصر الدين البصروي. 14-كمال الدين بن ناصر الدين بن البصروي 15-نور الدين بن قوام. 16-علاء الدين بن سلام الشهاب أحمد بن علي بن عبد الله الدلجي الشافعي، (ت 838هـ).
2-	الأسدية	دمشق	الزنكي	1- ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف البجلي 2-خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي الشافعي 3-نجم الدين ابن فهد أحمد ابن حمدان الأذرعي الشافعي (ت783هـ)4-شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى الرمشاوي الشافعي 5- تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الرحيم الشهير بالحباب
3-	الإقبالية	دمشق	الأيوبي	1-ابن سني الدولة أحمد صدر الدين بن يحيى (ت 658هـ) 2-ولده نجم الدين بن سني الدولة. 3-بدر الدين بن خلكان. 4-شمس الدين بن خلكان. 5-محيي الدين النواوي إلى آخر سنة 669هـ ..

					6-تاج الدين المراغي المعروف بابن الجواب (ت 729هـ) [8]
					7-شهاب الدين بن المجد عبد الله بن الحسين سنة 700هـ .(1). 8-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن خليفة (ت 778هـ .)(2). 9- سنة خمسين وسبعمائة الكمال أبو بكر بن الشريشي(3).
4-	الصلاحية	القدس	الأيوبي		1- محيي الدين أبو حفص عمر بن السعيد عز الدين موسى بن عمر الشافعي ت679هـ ./1280م(4). 2-جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم ب ن عمر الباجريقي ت699هـ ./1299م(5). 3-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحي بن إسماعيل الشافعي ت733هـ .(6). 4- علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي ت 748هـ .(7). 5- صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي ت761هـ . 6- برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الخطيب زين الدين عبد الرحيم الكناني ت 790هـ .

[8] النعيمي الدارس، ج1، ص120.

				7-نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جماعة الشافعي ت795هـ . 8-عماد الدين أبو عيسى أحمد ب ـن موسى الكركي الشافعي ت801هـ . 9- شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي ت 833هـ . 10-زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات القمني ت 833هـ
				11- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقدسي ابن الهائم توفي سنة 815هـ .
5-	الفتحية	دمشق	الأيوبي	لم نعثر لها على مدرسين
6-	الفلكية	دمشق	الأيوبي	1- برهان الدين أبو الثناء محمود ب ـ ن عبد الله المراغي ت 681هـ. 2- لاء الدين علي بن زيادة بن عبد الرحمن الحبكي. 3- قي الدين أبو بكر بن ولي الدين عبد الله بن عب ـد الرحمن الشهير بابن قاضي عجلون. 4- برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن إبراهيم بن المعتمد.

7-	القليجية	دمشق	الأيوبي	1-جمال الدين بن عبد الكافي. 2-علاء الدين بن العطار. 3-أبو سليمان داود ابن إبراهيم الدمشقي. 4-شهاب الدين ابن النقيب. 5-شهاب الدين الزهري. 10-ولده جمال الدين ثم نزل عنها لأخيه قاضي القضاة تاج الدين في أول سنة 808هـ ..
8-	القوصية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين محمد بن عيسى ابن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد الشافعي. 2- بهاء الدين بن إمام المشهد. 3- تقي الدين ابن الذرعي. 4- بدر الدين بن قاضي شهبة. 5-محب الدين أبو الفضل محمد بن برهان الدين بن قاضي عجلون. 6-كمال الدين ابن السيد عزالدين.
9-	الكلاسة	دمشق	الزنكي	1- أحمد بن محمد بن الخلاطي الصوفي ت سنة 671هـ .. 2- بهاء الدين ابن الزكي. 3- محمد بن إبراهيم الصفدي. 4- عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق. 5- ابنه محيي الدين أحمد.

				6- جمال الدين بن الرهاوي. 7- شمس الدين الصرخدي.	
10-	المجاهدية الجوانية	دمشق	الزنكي	1-تقي الدين بن قاضي شهبة سنة توفي سنة 826هـ . 2-الزيني عبد القادر بن تقي الدين بن قاضي شهبة. 3- قطب الدين الخيضري. 4-برهان الدين بن المعتمد 5-زين الدين الطرابلسي. 6- شمس الدين الكفرسوسي	
11-	المسرورية	دمشق	الزنكي	1- جمال الدين يوسف بن علي االجميزي المص ري الدمشقي ت659هـ .. 2- الصدر ركن الدين يونس ت693هـ .. 3- جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عب د ال رحمن العجل ي ت739هـ .. 4- كمال الدين بن الزملكاني. 5- حسام الدين القرمي. 6- جمال الدين بن الشريشي. 7- جمال الدين بن جملة 8- تاج الدين المذكور وهو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشي. 9- تقي الدين السبكي. 10- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي.	

12-	المجنونية	دمشق	الأيوبي	1- عز الدين أحمد بن محمد بن علي الموصلي. 2- جمال الدين أحمد بن إسماعيل الهكاري. 3 -كمال الدين ابن بنت نجم الدين بن سلام.
13-	النجيبية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين بن خلكان. 2- كمال الدين موسى. 3- الخطيب عزالدين الفاروثي. 4- عبد العزيز بن محمد ب ن علي الطوسي ثم الدمشقي ت706هـ .. 5- بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد ب ن عبد العزيز العجمي الحلبي. 6 -نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي الدمشقي.
14-	البدرية	دمشق	الأيوبي	1- شمس الدين سبط ابن الجوزي.

				2- زكي الدين زكريا بن عقبة. 3- صفي الدين يحي بن فرج بن عتاب الحنفي. 4- الرضي شمس الدين محمد بن علي بن هاشم الحنفي
15-	البلخية	دمشق	الزنكي	1-كمال الدين أبو الفضائل عبد اللطيف بن محمد. 2 -صدر الدين إبراهيم الهندي.
16-	التاجية	دمشق	الأيوبي	شعبان بن أبي بكر بن عمر الإربلي ت701هـ ..

17-	التاشية	دمشق	الزنكي	1- أوحد الدين بن الكعكي 2- تاج الدين بن الأرشد 3- عماد الدين داود البصروي. 4- التقي إبراهيم الرقي. 5- فخر الدين موسى الحنفي 6- شرف الدين الرسعني 7- مجد الدين بن فخر الدين موسى 8- بدر الدين محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الحنفي ت735هـ ..
18-	الخاتونيةالبرانية	دمشق	البوري	1-فخر الدين موسى ابن هلال بن موسى. 2 -جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد ب ـن عم ـر الحنفي الخجندي ت691هـ .. 3- شمس الدين بن الحريري ت715هـ .. 4- بدر الدين أبو نويرة الحنفي.
19-	الخاتونيةالجوانية	دمشق	الأيوبي	1-كمال الدين عبد اللطيف بن عزالدين السنجاري. 2- صدر الدين إبراهيم بن عقبة الحنفي. 3- شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي. 4- مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد الحنفي. 5-أبو الموفق مسعود بن الموفق شجاع الأموي الحنفي. 6- حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أحمد بن أنو شروان الحنفي الرومي. 7- جلال الدين أبو المفاخر أحمد بن حسام الدين الحسن بن أحمد الحنفي.

				8- شهاب الدين بن العز.
20-	الدماغية	دمشق	الأيوبي	1- عماد الدين محمد . 2- مجد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحم ـد ب ـن س ـحنون الحنفي.
21-	الركنية البرانية	دمشق	الأيوبي	1-محيي الدين الأسمر الحنفي .

				2- شمس الدين الرقي الأعرج 3- عماد الدين بن محيي الدين الطرسوسي 4- عماد الدين بن الكيال. 5- برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن خضر الحنفي.
22-	الريحانية	دمشق	الزنكي	1- جمال الدين محمد بن كمال الدين بن العديم 2-تاج الدين محمد البجلي 3-شمس الدين عبد الله الحنفي. 4- بدر الدين مظفر بن رضوان بن أبي الفضل الحنفي. 5- محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس. 6- محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس. 7- فخر الدين أبو طالب أحمد بن علي بن أحمد الهمداني الكوفي ثم الدمشقي الحنفي.

23-	الزنجارية	دمشق	الزنكي	1- كمال الدين عبد اللطيف بن السنجاري. 2- تاج الدين عبد الرحمن بن عبد الباقي المعروف بابن النجار. 3- عماد الدين ابن الشماع. 4- فخر الدين بن عثمان المعروف بالزقزوق. 5- شمس الدين سليمان بن إسماعيل المعروف بالملطي. 6- شهاب الدين يوسف بن محيي الدين بن النحاس. 7- شمس الدين محمد الحجيني الحنفي. 8- الحسين بن سليمان بن فزارة القاضي شهاب الدين الكفري. 9- شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن مؤذن الزنجيلية الحنفي.
24-	الشبلية البرانية	دمشق	الأيوبي	1- عزالدين عبد العزيز. 2- بدر الدين ابن الفويرة. 3- رشيد الدين سعيد بن علي بن سعيد البصروي. 4- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ب ـن داود بن حازم الذرعي الحنفي. 5-بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري.

25-	الظاهريةالجوانية	دمشق	الأيوبي	1- الصدر سليمان بن أبي العز بن وهيب بن عطاء أبو الربيع الحنفي. 2- شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي. 3- محيي بن النحاس. 4- ركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي. 5- محمد بن عثمان بن الحريري الحنفي. 6- شمس الدين بن أبي العز محمد بن أبي الع ز ب ن وهيب الأذرعي الحنفي. 7- نجم الدين علي بن داود بن يحيى بن كامل القرشي القحفازي الحنفي. 8- عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الحنفي.
26-	الحنبلية	دمشق	الزنكي	1- زين الدين أبو البركات بن المنجا الدمشقي (ت695هـ ./1295م). 2-تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728هـ ./1327م).
27-	المسمارية	دمشق	الأيوبي	1-فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلي الحنبلي(ت688هـ ./1289م). 2-ابنه شمس الدين أبو عبد الله (ت699هـ ./1299م).

28-	العمرية	دمشق	الزنكي	1-عز الدين عبد الرحمن بن تقي الدين احمد بن محمد المقدسي (ت661هـ ./1262م)، و 2- شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر المقدسي(ت682هـ ./1283م) ، 3-نجم الدين أحمد بن قدامة(ت689هـ ./1288م). 4- أبو الحس ـ ن علي بن القاضي شمس الدين المقدسي(ت699هـ ./1299م). 5- تقي الدين إبراهيم بن علي الدمشقي الحنبلي ـ (ت692هـ ./1292م).

ملحق رقم (3)

جدول بأهم المدارس المذهبية في الشام المصدر

الرقم	المدرسة	المؤسس	تاريخ التأسيس	المدينة	المذهب
1	الكروسية	محمد بن عقيل بن عبد الواحد بن أحمد بن كروس	حقبل 641هـ .	دمشق	الشافعي
2	الطبرية		فبل 657هـ .	دمشق	الشافعي
3	الظاهرية الجوانية	أحمد بن الحسين العقيقي	676هـ .	دمشق	الشافعي
4	الدوادارية	علم الدين سنجر الداودار	695- 696هـ .	القدس	الشافعي
5	الوجيهية	وجيه الدين محمد بن المنجا	حوالي 690هـ .	القدس	الحنبلي
6	السلامية	مجد الدين إسماعيل السلامي	700هـ .	القدس	المالكي
7	الجالقية	ركن الدين بيبرس الجالق	حوالي 700هـ .	القدس	الشافعي
8	الجاولية	علم الدين سنجر الجاولي	715هـ .	القدس	الشافعي

9	التقطائية	سيف الدين طقطاي الناصري	حوالي 716هـ .	دمشق	الشافعي
10	الكريمية	كريم الدين عبد الكريم بن مكانس	718هـ .	القدس	الشافعي والمالكي
11	التنكزية	سيف الدين تنكز	729هـ .	القدس	الشافعي
12	الأمينية	أمين الدين عبد الله	730هـ .	القدس	الشافعي
13	القواسية	عزالدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمدبن القواس	733هـ .	دمشق	الشافعي

14	الملكية	ملك الجوكندار الملكي الناصري	741هـ .	القدس	متعددة المذاهب
15	الخليلية	سيف الدين بكتمر الخليلي	قبل 746هـ .	دمشق	الشافعي
16	الكيلانية	جمال الدين بهلوان الكيلاني	753هـ .	القدس	الشافعي
17	الخاتونية	أغل خاتون القازانية البغدادية	755هـ .	القدس	الحنبلي
18	الفارسية	فارس البكي	755هـ .	القدس	الشافعي
19	الأرغونية	أرغون	759هـ .	القدس	الحنفي
20	الأسعردية	الخواجا مجد الدين بن عبد الغني الأسعردي	760هـ .	القدس	الصوفية

21	المحدثية	عز الدين الأردبيلي	762هـ .	القدس	الشافعي
22	الحسنية	شاهين الحسني الطواشي	762هـ .	القدس	الشافعي
23	المنجكية	سيف الدين منجك اليوسفي	762هـ .	القدس	الشافعي
24	الجقمقية	السلطان الظاهر جقمق.	762هـ .	دمشق	الحنفي
25	الطازية	طاز بن قطغاج	763هـ .	القدس	الشافعي
26	البارودية	أبي بكر محمود البارودي	768هـ .	القدس	الشافعي
27	القشتمرية	قشتمر السيفي	قبل 775هـ .	القدس	الشافعي
28	الحنبلية	بيدمر الخوارزمي	781هـ .	القدس	الحنبلي

29	اللؤلؤية	بدر الدين لؤلؤ غازي	781هـ .	القدس	الشافعي
30	البلدية	سيف الدين منكلي بغا البلدي	782هـ .	القدس	الشافعي
31	الطشتمرية	سيف الدين طشتمر العلائي	784هـ .	القدس	الشافعي
32	الجهاركية	جهاركس الحنبلي	حوالي 788هـ .	القدس	
33	الموصلية	الخواجا فخر الدين الموصلي	797هـ .	القدس	

34	الطولونية	شهاب الدين أحمد بن محمد الطولوني	قبل سنة 800هـ .	القدس	الشافعي

ملحق رقم(4)

جدول بأهم المدارس في مدينة القدس

اسم المدرسة	مؤسس	سنة التأسيس
المدرسة الصلاحية	السلطان صلاح الدين الأيوبي	583هـ./1187م
المدرسة الدوادارية	الأمير علم الدين سنجر بن عبدا الله بن عبد ربه بن عبدا لباري الدوادار الصالحي	695هـ./1295م
المدرسة الوجيهية	الشيخ الإمام وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي	701هـ./1302م
المدرسة السلامية	الخواجا مجد الدين إسماعيل السلامي	743هـ./1342م
المدرسة الكريمية	الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم	718هـ./1318م
المدرسة التنكرية	الأمير تنكز نائب الشام	729هـ./1328م
المدرسة الأمينية	أمين الدين عبد الله	730هـ./1330م

المدرسة الملكية(الجوكندار)	سيف الدين الحاج الملك الجوكندار	741هـ./1340م
المدرسة الفارسية	الأمير فارس البكي ابن الأمير قطلو ملك ابن عبد الله	755هـ./1354م
المدرسة الخاتونية	الأميرة أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية	755هـ./1354م

المدرسة الأرغونية	الأمير أرغون الصغير الكاملي وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس السيف	759هـ./1358م
المدرسة القشتمرية	الأمير قشتمر السيفي	759هـ./1358م
المدرسة الأسعردية	الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين أبي بكر	نهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي
المدرسة المحدثة	المحدث عزا لدين عبد العزيز العجمي الأردبيلي	762هـ./1360م
المدرسة الحسنية	الطواشي شاهين الحسني	762هـ./1361م
المدرسة المنجكية	سيف الدين منجك اليوسفي الناصري	76هـ./.1374م
المدرسة الطازية	الأمير سيف الدين طاز بن قطغاج	763هـ./1362م

المدرسة الحنبلية	الأمير بيدمر الخوارزمي	775هـ./1373م
المدرسة البارودية	الأميرة سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر بن محمود المشهور بالبارودي	768هـ./1367م
المدرسة اللؤلؤية	الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي	غير معروف
المدرسة البلدية	الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي	782هـ./1380م
المدرسة الطشتمرية	الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائي في أواخر حياته	

المصادر والمراجع

أولاالمصادر:

القرآن الكريم

1- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ،**الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** ،دار المعارف العثمانية، صيدر اباد-الهند، ط2، 1972.

2- ابن حوقل أبي القاسم محمد بن علي ، **صورة الارض** ،دار مكتبة الحياة ، 1992.

3- ابن خلدون، **المقدمة**، دار القلم ، بيرروت،1984.

4- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

5- ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق: د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.ط.

6- ابن كثير ،**البداية والنهاية**، مكتبة المعارف ،ط1408،7هـ/1911م،بيروت .

7- الآجري، **أخلاق العلماء**، راجعه : إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ،1398هـ/1978م.

8- الأصفهاني أبو نعيم ، **حلية الأولياء** ، مخطوطة ، مكتبة الأسد المتصوفة ، م ش / م / 4364 .

9- ابن ثغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. قدم له وعلق عليه محمد حسين 12-شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1، 1413هـ/1992م .

10- ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ): **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان،ط1987،2 .

11- ابن خلكان احمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان** ، تحقيق: عباس احسان ،دار صادر ،بيروت ، 1972.

12- ابن عماد العكري عبد الحي بن احمد بن محمد ، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب** ، تحقيق : محمود الارناؤوط ،دار ابن كثير ،ط1406،1هـ/1686م،دمشق.

13- تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن تقي الدين ، **طبقات الّشافعية الكبرى**، تح د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو،هجر للطباعة ،ط2 ،1413هـ.

14- الدارمي، أبو محمد عبد الله، **سنن الدارمي**، تحقيق :د. فواز أحمد زمرلي و د.خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1407هـ.

15- الذهبي محمد بن احمد بن عثمان، **سير اعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، ط1417،1هـ/1996م،بيروت.

16- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: د.عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

17- السيوطي : **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار احياء الكتب العربية ، مصر 1387هـ/1967م.

18- العليمي مجير الدين ، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد ابو تبانة ،مكتبة دانديس،ط1 ،1420هـ/1999م.

19- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

20- القلقشندي ابو العباس احمد، **صبح الاعشى في صناعة الإنشاء**، دار المكتبة المصرية، القاهرة،1430هـ/1922م.

21- المقدسي أبو عبد الله محمد بن احمد ، **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، مكتبة مدبولي ،ط1411،3هـ/1991،القاهرة .

22- المقريزي احمد بن علي بن عبد القادر ابو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والابتكار**، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1 ،1418هـ

23- المقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ/1997م.

24– النعيمي عبد القادر بن محمد ، **الدارس في تاريخ المدارس** ،تحقيق: شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1410،1هـ/1990م.

25- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبدالله الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، تحقيق: فريد بن عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ،1310هـ/1990م .

26– اليونيني قطب الدين البو الفتح موسى بن محمد ، **ذيل مرآة الزمان**، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ،1992.

ثانيا: المراجع

1. احمد تيمور باشا ،**نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعةوانتشارها عند جمهور المسلمين** ، تقديم :الشيخ 3-محمد ابو زهرة ، دار القادري ، ط1 ،1411هـ/1990م، بيروت .
2. خالد كبير علال: **التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي** ،دار المحتسب، الجزائر، 1429هـ/2008م .
3. خالد كبير علال، **الحركة العلمية الحنبلية واثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع هجريين** ، اطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي،2003 ، جامعة الجزائر .
4. رمضاني فوزي، **اسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي**(648-923هـ/1250-1517م)، 1438هـ/2017م، جامعة الجزائر 02.
5. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، **الأعلام** ، دار العلم للملايين ،ط15 ،2002م.
6. سعيد عبد الفتاح عاشور ، **العصر المماليكي في مصر والشام** ، دار النهضة العربية ، القاهرة، ط2 .

7. سعيد عبد الفتاح عاشور، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ،1996.
8. علي الطنطاوي، **الجامع الأموي في دمشق، مطبعة الحكومة**، دمشق، د.ت.ط .
9. محمد أبو زهرة ،**ابن تيمية حياته وعصره ، آراءه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1991م.
10. محمد ابو زهرة ،**تاريخ المذاهب الإسلامية** ، دار الفكر، القاهرة ،د.ت.ط.
11. محمود شاكر: **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، ط5 ،1421هـ/2000م .
12. وحدة البحث العلمي، راجعه : أ.د. احمد الحجي الكردي، د. بومية محمد السعيد، ش. علي خالد الشربجي ،ش. عدنان بن سالم النهام ،**المذاهب الفقهية الأربعة** ،ط1 ، 1436هـ/2015م.

ثالثا: قائمة المجلات والدوريات

1. رمضاني فوزي، **التعايش بين المذاهب السنية في مصر خلال القرن 7-8هـ/13-14م**، الحكمة للدراسات التاريخية ، مؤسسة كنز الحكمة ،العدد 14،2016،الجزائر.

فهرس الموضوعات

- إهـداء.....

- شكر وتقدير .....

- الرموز الاختصارات .....

- **المقدمة** .....أ-ح

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في بلاد الشام ومصر خلال القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي.....ص:11-24.

المبحث الأول: التعريف بالمذاهب الفقهية التي عرفتها بلاد الشام ومصر في القرن 8 هـ/ 14م.....ص: 12-16.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية والعسكرية .....ص:16-18.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.....ص:18-21.

المبحث الرابع: الوضع الديني والعلمي .....ص:21-24.

الفصل الأول: المذهبان الحنفي والمالكي في بلاد الشام خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي..... **ص:25-58**

المبحث الأول : المذهب الحنفي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة.....ص:27-33.

المبحث الثاني: المذهب المالكي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة.....ص:34-41.

المبحث الثالث: المؤسسات العلمية الحنفية و المالكية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م..... ص:42-58.

الفصل الثاني: المذهبان الشافعي والحنبلي في بلاد الشام في القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي.....**ص:59-82.**

المبحث الأول: المذهب الشافعي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة....ص:61-65.

المبحث الثاني: المذهب الحنبلي في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م على ضوء الدرر الكامنة ....ص:65-69.

المبحث الثالث: المؤسسات العلمية والحنفية المالكية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م .....ص:69-82.

الفصل الثالث: أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.....ص:83-110

- **المبحث الأول**: أثر المذاهب الفقهية على الحياة السياسية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م...ص:85-93.

المبحث الثاني : أثار الحياة المذهبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م...ص:94-100

المبحث الثالث: أثر الحياة المذهبية على الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرن 8هـ/14م.....ص:101-111.

الخاتمة.....ص:112-114.

الملاحق.....ص:115-134.

المصادر والمراجع .....ص 135-139

فهرس الموضوعات.....ص:140-142.